اتجاهات مجموعة من كُتّاب الرأي في الصحف السعودية نحو الحرب الصهيونية على غزة

(دراسة تحليلية نقدية)

مجموعة من الباحثين السعوديين

مايو ٢٠٠٩ م

المحتويات

بسم الله الرحمن الرحيم

موضوع الدراسة وأهميته:

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين وبعد:

فقد شنت قوات الاحتلال الإسرائيلي في ٢٠٠٨/١٢/٢٧م عدوانا جوياً واسعاً على قطاع غزة اسمته «الشتاء الساخن»، وألحقته بحملة برية في شمال القطاع، امتدت ١٨ يوماً، مسوغة ذلك بالرد على إطلاق صواريخ فلسطينية على جنوب إسرائيل. أدت تلك الحملة الدموية إلى سقوط مئات الشهداء وآلاف الجرحى معظمهم من المدنيين بينهم عدد كبير من الأطفال، وأظهر تقرير إدارة الإحصاء الفلسطيني أن قطاع غزة أصبح منطقة منكوبة من النواحي الإنسانية والاقتصادية والصحية والاجتماعية بسبب العدوان الإسرائيلي الذي طال كل مناحي الحياة، وأدى إلى وفاة حوالي ١٣٠٠ فلسطيني وجرح أكثر من ٤٥٠٠ من بينهم

أكثر من ٣٥٠ كانت إصاباتهم خطيرة.

كما أدى العدوان إلى تدمير البنية التحتية لقطاعات الخدمة العامة، وتدمير مباني المؤسسات العامة والجمعيات والممتلكات الخاصة، وإلى شلل كامل في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، إذ أشارت التقديرات الأولية إلى أن إجمالي الخسائر الاقتصادية المباشرة في المباني والبنية التحتية وخسائر الاقتصاد الوطني في قطاع غزة بلغ حوالي مليار وأربعمائة ألف دولار.

على المستوى الدولي أدان مجلس حقوق الإنسان العالمي في جنيف الهجوم الإسرائيلي على غزة وذلك في ختام يوم خصصه للقضية الفلسطينية بناء على طلب عاجل تقدمت به الدول العربية والإسلامية. وحظي القرار بموافقة ٣٣ دولة فيما امتنعت ١٣ دولة عن التصويت، معظمها أوروبية إلى جانب اليابان وكوريا الجنوبية والكاميرون وغواتيمالا، وعارضت كندا وحدها مشروع القرار.

أما على المستويين العربي والإسلامي فقد حظيت الحرب الصهيونية على غزة بمستوى عال من التفاعل عكسته مختلف وسائل الإعلام، واستطاعت أن تقدم

تغطية فورية لأحداثها، وتحليلات متعددة الزوايا والأبعاد لأهداف الحرب وتداعياتها، وكان لكتاب الرأي والمثقفين مشاركتهم ودورهم في التعبير عن رأيهم وتوجهاتهم تجاه هذا العدوان.

هؤلاء الكتاب والمثقفون من خلال طروحاتهم عبر وسائل الإعلام أسهموا في بناء مفاهيم الناس عن الأشخاص والأحداث والقضايا التي شاهدوها عبر وسائط الاتصال أو سمعوا عنها، لأنه من المقرر عند علماء الاتصال أن وظيفة اللغة هي بناء المعنى بين القائم بالاتصال والجمهور.

هذه العملية التفاعلية بين القائم بالاتصال ومستقبل الرسالة الاتصالية تتخذ من اللغة أساساً لها في التفاهم والتفاعل وتكوين المعاني المشتركة بينهما من جهة، و المعاني التي يريد القائم بالاتصال إيصالها إلى المستقبل من وجهة نظره هو من جهة أخرى.

وبالتالي فإن للغة – أي لغة- قدرة فائقة على الإفصاح عن الاتجاه الفكري والإيديولوجي لمن يستخدمها، ولا تستطيع إدعاءات الموضوعية والعقلانية أن تخفيها أو تحد منها. يستوي في الخضوع لسطوة هذه القوة كل الكتاب مهما

اختلفت اتجاهاتهم، فالكلام يحمل صاحبه مسؤولية محددة حتى ولو ظن نفسه مجرد واصف أو ناقل، ولهذا فإن هامش الموضوعية في استعمال الإنسان للغة هامش محدود جداً ويكاد ينعدم أحياناً. ورغم خطورة هذا البعد، فإن الناس يتفاوتون في مدى وعيهم به، ولهذا فإن استغلال المتكلم لهذا البعد عند تأكده من غفلة الآخرين عنه هو الذي يحول اللغة إلى سلاح فتاك على ساحة المناورة بالكلام.(١)

إذا كان هذا التأكيد لدور اللغة في الإفصاح عن اتجاهات مستخدميها يجري على من يحاول أن يحصر مهمته في وصف الأحداث ونقل الأخبار، فإن دورها يكون أشد تأكيداً حين يستخدم الناس اللغة لتحليل الأخبار وتفسير مجريات الأحداث. وهذا ما يجعل الاتهام المتبادل بالتحيز وعدم الموضوعية دائم الحضور في ساحات السجالات الدينية والفكرية والسياسية. ولو أن الكتاب اعترفوا بتحيزاتهم لمعتقداتهم الدينية واتجاهاتهم الفكرية والإيديولوجية، وأقروا بأنهم يعتمدونها كمنهج للسجال مع الآخر، لو فعلوا

(١) عبدالسلام المسدي. السياسة وسلطة اللغة. القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٧، ص ص ١٦٩-١٧٠ بتصرف.

ذلك لانقشع الضباب الذي يغلف ويفشل هذا النوع من المناظرات.

وفي هذا الإطار كان لعدد من الكتاب السعوديين مشاركات متنوعة بين التأييد والتخذيل لجيش المقاومة الفلسطينة في غزة مما يستدعي الاهتمام بدراسة الدلالات النصية لتلك المقالات ممن كانت مشاركاتهم لا تتوافق مع الموقف الإسلامي من هذا العدوان.

هدف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى معرفة اتجاهات كتاب الرأي السعوديين المنشورة مقالاتهم في الصحافة السعودية اليومية وصحيفتي الشرق الأوسط والحياة [١]، والتي تناولت موضوعات الحرب الصهيونية على المسلمين في غزة، ومدى موافقتها أو مخالفتها للمعايير الشرعية والفكرية والسياسية التي طورتها الدراسة والمذكورة في تساؤلاتها.

(١) صحيفتا الشرق الأوسط والحياة هما صحيفتان سعوديتان (غير محليتين) لاعتبارات الملكية، والإدارة، وسياسة التحرير.

تساؤلات الدراسة:

١- ما مدى توافق المواد المدروسة أو اختلافها مع الثوابت الشرعية ؟

٢- ما مدى توافق المواد المدروسة أو اختلافها مع نظم المملكة العربية السعودية

٣- ومواقفها المعلنة تجاه القضية الفلسطينية ؟

٤- ما مدى توافق المواد المدروسة أو اختلافها مع بعضها؟

عينة الدراسة:

١- العينة الزمنية:

العينة الزمنية لهذه الدراسة هي مجموعة من مقالات الرأي التي كتبها سعوديون ونشرت في الصحافة السعودية اليومية وصحيفتي الشرق الأوسط والحياة خلال فترة أربعة أسابيع تبدأ من بدء العدوان على غزة يوم السبت الموافق ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٨ م إلى يوم الجمعة الموافق ٢٣ يناير ٢٠٠٩م. وقد جرى تحديد هذه المدة للمبررات التالية:

- أنها تمثل البداية الفعلية للحرب بعد حصار غزة.
- أنها شهدت الهجومين الجوي والبري للعدو الصهيوني.
- أنها شهدت ذروة التغطية الإعلامية المحلية والعربية والدولية.
- أنها شهدت نهاية الحرب وبدء النشاط الدبلوماسي الخليجي والعربي والدولي.

٢- عينة الكتاب:

اعتمدت عينة اختيار الكتاب على التحليل الكمي لنتاج كتاب الرأي في الصحافة السعودية اليومية وصحيفتي الشرق الأوسط والحياة، حيث خضعت مقالات الكتاب لدراسة تحليلية قبلية لمضمون جميع المقالات المنشورة في الصحف السعودية اليومية (٤٦٤ مقالة رأي تناولت الحرب الصهيونية على غزة بشكل مباشر) لمعرفة مدى تأييدها أو حيادها أو مخالفتها للمعايير التي طورتها الدراسة بالنسبة للموقف من الحرب الصهيونية على غزة.

وبعد الاستقراء الاستدلالي تم حصر الكُتّاب المخالف

نتاجهم لهذه المعايير بوصفهم العينة التي يقع عليها التحليل، كما سيتضح في الجزء التحليلي من الدراسة وهم:

طارق الحميد، حماد السالمي، عادل الطريفي، محمد المحمود، محمد بن عبداللطيف آل الشيخ، تركي الحمد، عبدالرحمن الراشد، تركي الدخيل، جميل الذيابي، علي الموسى، حمزة المزيني، فارس بن حزام، مشاري الذايدي، يوسف أبا الخيل.

منهج الدراسة :

تستخدم الدراسة المنهج الكيفي[١] باستخدام أسلوب التحليل الدلالي للنص الصحفي لنتاج عينة من كتاب الرأي في الصحافة السعودية اليومية وصحيفتي الشرق الأوسط والحياة. والنص الدلالي يعد من أبرز الأدوات المنهجية للتحليل السميولوجي أو الدلالي للنصوص، ويُعنى كذلك

(١) هو المنهج الكيفي الذي تستخدمه هذه الدراسة في جانبها الميداني، وهو المنهج الذي يعتمد على وصف الظواهر والتجارب الإنسانية بطريقة كيفية واستخلاص ما فيها من نتائج تخدم أهداف الباحثين. انظر:

Strauss , Anselm & Corbom Juliet 1990). Basics of Qualitative Research. Sage Publications: London , p. 19.

بمعالجة البُنية الكامنة للكلمات أو الأفكار deep structure، وكذلك بالعمليات الوظيفية التي تتخلل المقولة المكتوبة أو المنطوقة discourse process. والتحليل الدلالي للنص الصحفي يركز كذلك على اكتشاف المعاني الكامنة داخل النص، فهو يهتم بالمعنى المُتضمّن connotative، بالإضافة الى المعنى الإشاري denotative.[(١)]

معايير التحليل:

طورت الدراسة التحليلية لنصوص المقالات محل الدراسة عدداً من المعايير التي مثلت قيماً رئيسة يمكن من خلالها الحكم الموضوعي على دلالات النص بما يحقق هدف الدراسة، الذي يسعى إلى تحديد مدى تمثل الكتاب لهذه القيم المنبثقة من ثوابت الدين ومصالح الوطن. وقد اقتضت متطلبات الدراسة أن تكون هذه المعايير منضبطة وذات منهج محدد يساعد على تقديم قراءة تحليلية غير منحازة، وهذه المعايير هي:

(١) انظر: محمود خليل. التحليل الدلالي للنص الصحفي. بحوث في الصحافة المعاصرة، القاهرة، دار النشر العربي، ط١، ٢٠٠٠ م

١- مدى التزام الكتاب في آرائهم بالثوابت الشرعية والبعد العقدي في الصراع مع اليهود من خلال قياس تمثلهم لحقيقة الإيمان بقضاء اللّٰه وقدرِه في تحليلاتهم، وتعزيز الأخوة الإيمانية والولاء للمؤمنين والبراءة من الكافرين.

٢- مدى التزام الكتاب بنظم المملكة العربية السعودية، ومواقفها المعلنة تجاه القضية الفلسطينية، من خلال قياس درجة المخالفة لمواد النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية وسياستها الإعلامية، ومخالفة آراء الكتاب للمواقف الرسمية المعلنة للمملكة تجاه القضية الفلسطينية.

٣- ملامح التوافق الجمعي والتناقض الذاتي لدى الكتاب، من خلال قياس درجة توافق الكتّاب في مواقفهم قبل الحرب وبعدها والتناقض الذاتي لديهم.

الفصل الأول
اتجاهات الكتاب نحو الثوابت الشرعية

تمهيد

المبحث الأول: الإيمانُ بقضاءِ الله وقدرِه في آراء الكتّاب

المبحث الثاني: الأخوة الإيمانية والولاء للمؤمنين آراء في الكتّاب

المبحث الثالث: البراءة من الكافرين في آراء الكتّاب

تمهيد:

المعاني الإيمانية والمفاهيم العقدية إنما تختبر وتمتحن في الأحداث والنوازل، ويكون الوقت مناسبا لترجمتها ونشرها والدعوة إليها في المحن التي تستشرف الناس ويتمايزون تبعا لمواقفهم منها.

وفي الحرب على غزة من المعاني الإيمانية العقدية ما يتوافق مع منهج الإسلام في التربية بالأحداث، وسنة الابتلاء، وسنة التمييز بين الخبيث والطيب، وسنة الصراع بين الحق والباطل والخير والشر، وتثبيت الله للقلة المؤمنة إن هي حققت الصبر والتوكل عليه. وفي مثل هذه الأحداث التي تتمايز فيها صفوف الحق عن الباطل؛ تسقط موازين القوى البشرية التي تركز على العتاد والتجهيزات.

وإذا كانت المعاني والمفاهيم التي انطلقت منها هذه الكتابات قد توارت بين السطور، فإن المشكل الأكبر أن حجم المسكوت عنه في هذه الكتابات والنصوص يفوق ما قيل فيه من المغالطات.

وفي هذا الفصل من الدراسة تحليل لما تضمنته مقالات الكتاب في مواقفهم واتجاهاتهم وأطروحاتهم فيما يتعلق بالجوانب العقدية والثوابت الشرعية لاستبانة جوانب الاتفاق والمخالفة لهذه الثوابت

وسيتم تناول متغير البعد الديني لاتجاهات بعض الكتاب السعوديين في الحرب الصهيونية على غزة في ثلاثة المباحث الرئيسة التالية:

المبحث الأول: الإيمانُ بقضاءِ اللّٰه وقدرِه في آراء الكتّاب

المبحث الثاني: الأخوة الإيمانية والولاء للمؤمنين آراء في الكتّاب

المبحث الثالث: البراءة من الكافرين في آراء الكتّاب

المبحث الأول
الإيمانُ بقضاءِ اللّه وقدرِه في آراء الكتّاب

إن قضية مثل قضية فلسطين لا يصح النظر إليها دون امتلاك مؤهلات تعين الناظر على تقديم رؤية واقعية وعملية، وأهم هذه المؤهلات، معرفة سنن اللّه الثابتة في الاجتماع البشري، وفهم عميق لتاريخ القضية وتطوراتها المختلفة.

لكن على الرغم من وضوح هذه السنن وهذا التاريخ إلا أن بعض الكتاب يأبى إلا أن يتعاطى مع القضية من خلال منظوره الخاص ووفق مصالح غير محددة الهوية، وهذا ما وقع من بعض الكتاب في التعامل مع الحرب الصهيونية على غزة،

ومن مظاهر المخالفة لهذا الأصل العظيم ما يأتي:

أولاً: تجاهل صبر المجاهدين في سبيل الله والصابرين في أرض الرباط من عامة الفلسطينيين:

ضرب المجاهدون في فلسطين أروع المثل بإيمانهم بقضاء الله وقدره، صبرٌ بلا جزع، ورضا بلا هلع، وكان على الأمة أن تؤمن بأن ما أصاب أهل غزة من قتلٍ وتدميرٍ وجرحٍ وألمٍ وجوعٍ هو قضاء الله في عباده المؤمنين، ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا هُوَ مَوْلاَنَا وَعَلَى اللّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التوبة:٥١)، وأن تكالب الأعداء من اليهود والنصارى والمنافقين على إخواننا المسلمين في غزة وحصارهم وقتلهم إنما هو من قدر الله، وقدر الله نافذ وهو موافق لحكمته ولا يكون قدر الله إلا خيراً. ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد: ٤).

لكن بعض الكتاب أظهر عداءً مقيتا للمجاهدين في غزة، وجهلا بفهم السنن والحكم الربانية، وخالف الإيمان بقضاء الله وقدره ابتداءً، ثم خالف واجب العمل على دفع قدر الله بالأسباب التي قدرها الله أيضا، فكانت المحصلة ظهور تيار تولى دور الإرجاف في وقت المحنة وشدة الكرب؛ ليكتمل المشهد بكافة أطرافه وفق سنن الله الثابتة.

فهذا طارق الحميد[١] يصف تاريخ القضية، ويتجاهل سنن الله، وطبيعة الصراع، وأبعاده المستقبلية: (**مسرحية دموية مقيتة تتكرر على مدى عقود، باسم القضية الفلسطينية.. نفس المشاهد، والأكاذيب، لا جديد فيها إلا الضحايا. فصيل يتاجر، وجرائم إسرائيلية، وشجب واستنكار عربي**).

أما حماد السالمي[٢] فيستكثر على الأمة وجود من يجاهد لاستعادة مقدساتها وحقوقها المسلوبة، ويتهم المقاومة بغياب العقل والحكمة، فيقول: (**وندعو الله العلي القدير، أن يلهم حركة حماس العقل والحكمة، فتتوقف عن مثل هذه المراهقات السياسية، وتدرك أنها حركة خارجة على الشرعية الفلسطينية**)، ثم يستدعي النموذج الذي يقيس عليه المجاهدين في فلسطين، لعلمه أن العالم قد أعلن الحرب من قبل على هذا النموذج، فيقول: (**وأن لا مكان لإمارة طالبانية في غزة**)، ويسخر من المقاومة التي أعدت ما تستطيع كما هو الواجب الشرعي، ويجري مقارنة مادية

(١) الشرق الأوسط ٢٩ ذي الحجة ١٤٢٩هـ.

(٢) الجزيرة ١٤ محرم ١٤٣٠ هـ.

لا تعرف معنى انتصار المبادئ والقيم، فيقول: (**فلا تكرر لعبتها الخطرة بـ (طراطيع جراد) مرة أخرى، إلا إذا أثبتت لنا وبالأرقام، أن عدد قتلى جراد من الصهاينة، يفوق عدد قتلى صواريخ وقذائف جيش العدوان من فلسطينيي غزة، وأن المصابين في مشافي إسرائيل، يفوق عدد المصابين في مشافي غزة..!**).

أما عادل الطريفي[1]، فيتجاهل صبر المقاومين في غزة على مدى عام ونصف من الحصار، ثم صمودهم أمام الهمجية الحربية الصهيونية، وقبل ذلك نضال الشعب الفلسطيني على مدى ستين عاما، فيقول: (**تخيلوا حتى كتابة هذا المقال لم يسقط إلا عشرة جنود إسرائيليين، والمقاومة تقول إنها تحقق انتصارات ربّانية لم تسجل في تاريخ الكفاح الفلسطيني**).

وهذا محمد المحمود[2] يسعى إلى تشويه صورة المقاومة واتهام المجاهدين بأن هدفهم الرئيس أن يحصلوا على شيء من السلطة في فلسطين، ويتهمهم بتوظيف الدين

(١) الرياض ١٧ محرم ١٤٣٠ هـ.
(٢) الرياض ١٨ محرم ١٤٣٠ هـ.

لتحقيق ذلك: (**الآن، تدور حرب غزة بين طرفي صراع، يحاولان تديين الصراع على المستوى الشعاراتي**). ثم يوجه ضربة إلى الجماهير المتعاطفة مع المجاهدين، قائلاً: (**وبينما تصدق الجماهير هنا وهناك، يدرك المتاجرون أن صراعهم على وقائع أرضية، وليس على حقائق سماوية**). ويتابع في أسلوب ماكر استخدم فيه توظيف الوقائع السياسية كدليل على فكرته، حيث يقول: (**ولهذا لم يكن غريبا أن تعلن حماس أنها ستقبل بالهدنة المشروطة بالتوافق الوطني فيما لو تمت شراكة حقيقية لحماس في السلطة**). ثم يعلن عن أهدافه بكل صراحة، كاشفا عن موقفة من المجاهدين الصامدين في ميدان المعركة، ومستكثرا عليهم أن يسعوا إلى الحصول على أبسط حقوقهم في أن يُحكموا بإرادتهم، وفق ما أراده الله منهم، فيقول: (**أي أن الصراع الحمساوي - في عمقه المجرد من غطاء الشعارات الإيديولوجية - كان صراعا على السلطة. وسيرضى قادة حماس - كما يشير التصريح الأخير - فيما لو تم إعطاؤهم نصيبا من هذه السلطة؛ بعد أن أدركوا أن من المستحيل عليهم الاستفراد بها**). وينتهي إلى تأكيد

ظنه السيئ بالمجاهدين، مخالفا الواجب الشرعي الذي يحض المؤمن على إحسان الظن بالمسلمين: (**لقد أدركوا أن شروط الواقع الفلسطيني، والواقع العربي والدولي، قد تسمح لهم بشراكة في السلطة، ولكنها لن تسمح لهم بأن يتربعوا - لوحدهم - على العرش الموهوم**).

وفي سياق (الإرجاف حول صورة المجاهدين) كتب محمد بن عبداللطيف آل الشيخ[١] متهما المقاومة بأنها ضحية جهات أخرى، يقول: (**ومثلما اكتشف حكمتيار (متأخراً) أنه كان ضحية لصفقة، أو مجرد حجر على رقعة شطرنج؛ وأن إيران: (عدو في لباس صديق، وتضرب المسلم بخنجر من ورائه) كما جاء بالحرف في نصيحته لحماس؛ فكأني بالتاريخ وقد أعاد نفسه في الأشهر القادمة بالنسبة لحماس، وستذكرون كلامي**).

أما محمد بن علي المحمود[٢] فيهاجم كل من يفسر ما يجري على أنه صراع ديني، ويسخر من قادة المقاومة الذين يرى أنهم استطاعوا إقناع الناس بأن جنان الخلد

(١) الجزيرة ٢١ محرم ١٤٣٠ هـ.
(٢) الرياض ٢٥ محرم ١٤٣٠ هـ.

خير لهم من هذا الواقع البائس، ثم يقول: (**طبعا، لا أزعم أنهم يفكرون بهذه الطريقة على مستوى الإدراك الواعي. وإنما هذا ما يشعرون به على مستوى اللاوعي؛ جراء الشحن الشعاراتي الإيديولوجي. وهو ما يوجه أفكارهم، ويحدد سلوكياتهم في الفعل المباشر**)، ويشير هذا الكلام إلى اتهام المقاومة بعدم الإدراك والحكمة، ثم يصرح بأن ما تفعله المقاومة ليس بأمر الله سبحانه وتعالى، دون أن يكون لديه دليل شرعي يفند الأدلة التي يرتكز عليها خطاب المقاومة، يقول: (**وهم، لا يشعرون أنهم يرتكبون جريمة عندما يواصلون العبث بأرواح الأبرياء ؛ عبر الزج بهم في صراع مقيت على فتات سلطة غير كاملة، بل يشعرون أنهم يؤسسون - بهذا - لمدينة الله في الأرض!**). وأين قول الكاتب من قول الحق سبحانه وتعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج: ٣٩).

ويجيب في أثناء حديثه على السؤال قائلاً: (**فالشعور الخفي - والظاهر أحيانا - يوحي لهم بأن ما يفعلونه إنما يفعلونه بأمر الله، وأن الضحايا - وفقا لهذا - هي قرابين بشرية؛ أمر الله بها. والمتردد في هذا، متردد في تنفيذ**

أمر الله، والمعارض لاستمرارية هذه الجرائم، معارض لله. ومن ثم، فهو في دائرة: الكفر البواح).

ويواصل محمد المحمود[1] تضليله للقارئ متجاهلا سنة المدافعة بين الحق والباطل، ومتهما المجاهدين في سبيل الله بتوظيف الدين لقضاياهم الشخصية: **(يقود تديين الصراع إلى التلاعب بالمقدس. فالمقدس يتم توظيفه كأداة من أدوات الصراع. وبهذا يتم انتهاك قدسيته؛ خاصة عندما يتم في سياق تزييف الوقائع والمواقف)**، ثم يوجه اتهاما مباشرا إلى كل من يتحدث عن عداوة اليهود للمؤمنين فيقول: **(وهنا يجري التلاعب بهذا النص لحساب الصراع. فالنصوص التي تتحدث عن اليهود، يجري توظيفها - قسرا - في الصراع على الأرض مع إسرائيل. وأحاديث الفتن والمستقبليات الغيبية، يتم تنزيلها على واقع الصراع الآني. فتصبح حماس هي الطائفة المنصورة، الظاهرة على ما سواها. كما يصبح المكان مقدسا غيبيا؛ لا تتم مقاربته إلا على هذا الأساس)**. ويكشف كلامه هذا عن وقوعه في ما يحذر منه

(١) الرياض ٢٥ محرم ١٤٣٠ هـ.

عندما يرفض أن تُوظّف النصوص الدينية لتديين الصراع، لأن هدفه أن لا تستفيد المقاومة من هذه القدسية للقضية، حيث يرى أن التمادي في استخدام النصوص التي تتحدث عن اليهود سيؤدي: (**إلى تقدس الصراع، وتقديس الطرف الحمساوي؛ بوصفه - وفق هذا السياق التزييفي - إحدى طلائع الإيديولوجيات الإسلاموية، التي ترمي شباكها السياسية في يَمّ من الكساح العقلي الجماهيري، في عالمي: العروبة والإسلام**) ويكفي أن تلقى نظرة أخرى على مفرداته التي يستخدمها لقياس حجم التشنج الذي تبدى في لغة الكاتب وخطابه الصحفي.

ولا يقف المحمود عند ذلك بل يوجه تشكيكه وإرجافه إلى النصوص ذاتها، وإلى أهل الشام، دون أن يقدم دليلاً على ضعف هذه النصوص: (**كل هذا، على افتراض صحة هذه الأحاديث التي يجري ترويجها، وتقديس الصراع من خلالها، أي على افتراض ثبوتها السندي. فالشام كمنطقة نزاع تاريخي، كانت موضوع صناعة النص، الذي يحاول توظيف المقدس في الصراع**).

ثم يشرع في البرهنة على ما يذهب إليه، في تحد صارخ

لعقل القارئ الذي يتبادر إلى ذهنه:

ولم يقال هذا الآن؟ فلا تجد إجابة، إلا أن هذا هروب من التسليم بقدر الله وسنة الابتلاء، وسنة الصراع بين الحق والباطل، إلى الإرجاف وبث الفرقة، حيث يقول: (**فالاعتراضات التي تمس قاعدة الشرعية، تأتي من الحجاز: المقدس، موجّهة إلى الشام: غير المقدس. وهنا بدأ الأمويون مشروع وضع الأحاديث التي تتحدث عن فضائل الشام والرباط في الشام. وذلك لمواجهة قدسية المكان المُعارض (= الحجاز) بقدسية أخرى، أي بقدسية قاعدة ملكهم: الشام**).

وينتهي المحمود إلى تأكيده على الرغبة في الإرجاف الذي يكثر في النوازل لتوفر البيئة المناسبة له، وذلك بقوله: (**وكان مشروع وضع الحديث النبوي في فضائل المكان الشامي، أمرا مشروعا - في تصور الأمويين - في هذا السياق التاريخي السياسي، من الصراع على المقدس المكاني**).

هذه نماذج لضعف الإيمان بقضاء الله وقدره تجاهل قيام طائفة من الأمة بالواجب الشرعي، وتجاهل كفاحها ونضالها لامتلاك ما استطاعت من القوة والسلاح للقيام

بأمر الله الذي يقضي بوجوب إخراج المحتل من أرض الإسراء والمعراج وتحرير المسجد الأقصى من قبضة يهود، وبإجماع الأمة على مدى تاريخ القضية.

ثانياً: المقارنة بين طرفي الصراع من خلال القوة المادية والعسكرية، وتجاهل معية الله لعباده المؤمنين:

إن الله لا يرضى أن يصرف عبدُه قلبَه إلى غيره، لذا أمر المؤمنين أن يأخذوا بجميع الأسباب الممكنة عسكرياً وسياسياً، ثم يفوضوا أمرهم إلى الله ولا يركنوا لسواه، يقول سبحانه وتعالى في كتابه ﴿**أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ**﴾ (الزمر: ٣٦).

وقد ظهر في كتابات بعض كتاب عينة الدراسة الكثير من المقارنات المادية التي ابتعدت بالقضية عن حقيقتها. يقول عبدالرحمن الراشد[١] أن المعركة بين «فيل ونملة»! في أسلوب ساخر لا يفرق بين من يقاتل ومعه الله، ومن يقاتل ومعه الشيطان: (**من الصعب على النفس، مع دوي القصف ودماء الجرحى وصور القتلى، أن يعتبر أي كان ما**

(١) الشرق الأوسط ١ محرم ١٤٣٠ هـ.

يحدث لأهل غزة إلا بأنه مأساة إنسانية حقيقية، نتيجة متوقعة في حرب بين طرفين غير متكافئي القوة، معركة بين فيل ونملة). وفي اليوم التالي[1] يعود الراشد مجددا لتغييب القارئ عن حقيقة المعركة، وعن طبيعة الطرفين، ومكمن القوة، فيقول: **(إسرائيل كانت تستطيع بالفعل هزيمة حماس لأن الفارق بين القوتين هائل وحماس هدف سهل وغزة دائماً أرض محاصرة، والذرائع لم تكن قليلة)**، ثم يفسر الراشد لماذا إذن لم تعمل إسرائيل على إزالة حماس، متجاهلا قدر الله ووعده، ومستكثرا على الأمة المسلمة وجود رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، حيث يقول: **(لكن إسرائيل منذ زمن كانت ترى في ظهور أي فريق فلسطيني ينافس منظمة التحرير الفلسطينية سيخدم مصالحها العليا، منع قيام دولة فلسطينية)**.

ويفتتح تركي الحمد أحد مقالاته[2] بالتبرير لإسرائيل في أسلوب ذكي ينطلق منه إلى الاستهانة بما تملكه المقاومة التي أعدت ما تستطيع -كما هو الواجب الشرعي- وعلمت

(١) الشرق الأوسط ٢ محرم ١٤٣٠ هـ.
(٢) الشرق الأوسط ٣ محرم ١٤٣٠ هـ.

أن اللّه مع الصابرين الصادقين، حيث يقول: (**لا شك في أن ردة الفعل الإسرائيلية مبالغ فيها تجاه صواريخ حماس، أو ألعاب حماس النارية**)، ولم يدرك أن النصر من عند اللّه، سواءً قل الجمع أو كثر، ثم يعود في المقالة نفسها ليسخر من قوة المقاومة، ويشحن القارئ ضدها، ويكرس فكرة العلاقة بين مشروع المقاومة والمشروع الشيعي التوسعي في المنطقة، فيقول: (**وتصريح هنية البائس ليس إلا دليلاً على الخطة الإيرانية وراء ما يحدث في غزة. يُصرح هنية بأن العدوان الإسرائيلي لن يحقق أغراضه، حتى لو دمر غزة بالكامل ولم يبق فيها أي فلسطيني، فلن تتراجع حماس..**)، ثم يتساءل الحمد متجاهلاً الاحتلال اليهودي لفلسطين، ومتجاهلاً حق أهل الأرض في عدم الاعتراف بالمحتل، ومتجاهلا القدر الرباني في أن تكون حياة الفلسطينيين المخلصين رباطاً في سبيل اللّه، فيقول: (**تتراجع حماس عن ماذا؟**) ويجيب متجاهلاً معية اللّه للمؤمنين المرابطين في سبيله، ومتجاهلا أن قوة المؤمنين إنما تكون بثقتهم في اللّه سبحانه وتعالى، فيقول: (**عن إطلاق الألعاب النارية، أم عن إذلال الشعب الفلسطيني**

في غزة من أجل خطط إيران؟) ويتضح في إجابته إصراره على زرع الفتنة في أوساط الغزاويين، وتشويه صورة الجهاد الإسلامي الحق بربطه بمصالح إيرانية، ثم يصرح بأهدافه وضعف ثقته بالله واستهزائه بالواثقين بربهم، قائلاً: (**أي حركة مقاومة حقيقية في العالم، ومنذ فجر التاريخ، لا بد أن تكون لها «أجندة» معينة، فهي تقاوم للحصول على هذا المطلب أو ذاك، فما هي أجندة حماس؟..**) ولأنه يعرف أجندة حماس فقد أجاب ولكن بلغة الانهزام، ولغة اليائس من رحمة الله وقدرته، فيقول: (**تحرير فلسطين من النهر إلى البحر؟ تلك خرافة يا أم عمرو. كيان فلسطيني مستقل؟ هذا أمر لا يُحقق بالألعاب النارية، أو بصراع عسكري موازين القوى فيه غير متكافئة على الإطلاق**).

وأين الله في تفكير الكاتب؟! وهل وصل بنا القنوط إلى انعدام الثقة بين المسلمين؟! ثم يقول عائدا إلى شنشنته: (**أجندة حماس الوحيدة هي الحفاظ على كيانها، حتى لو كان ذلك على حساب غزة وأهل غزة، وذلك كما يتضح من خطاب «الأخ» إسماعيل هنية، وتنفيذ المخطط «الرسولي» الإيراني في المنطقة**).

أمـا محمد المـحـمـود[1] فقد افتتح مقالة لـه بأرقام الشهداء في غزة مقارنة برقم قتلى الجانب الصهيوني، ثم يقول مأسورا إلى الواقع المادي: (**وعن عمد؛ كتبت ضحايا الطرف الإسرائيلي بالحروف، لا بالأرقام؛ حتى لا يتوهم أحد أن هناك خطأ ما. المسافة الهائلة بين الرقمين، قد توهم بالخطأ في الرقم الثاني وليس الأول؛ لأن تواضعه الشديد - مقارنة بالرقم الأول - تقترب به من درجة استحالة التقابل بين رقمين في معركة علنية، معركة أعلن الطرفان فيها الحرب. ولأن وجدان القارئ العربي المأخوذ بـ (وجدانيات الحدث الأليم) الذي يأخذ به في هذا الاتجاه الحالم، الذي تتداخل فيه لغة الأوهام مع لغة الأرقام**).

وهذا نموذج آخر لضعف الإيمان بقدر الله، إذ وصل الأمر إلى ما حذر الله منه في كتابه العزيز: ﴿**إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**﴾ (الأنفال:٤٩) ، فالمقارنة هنا لا تدخل فيها المعايير المادية، فالصفوف متمايزة، والأهداف والغايات واضحة، والمعركة بين مسلم وكافر.

(١) الرياض ١١ محرم ١٤٣٠ هـ.

ثالثاً: الجهل بسنن الله، وحقيقة الانتصار، والمتاجرة مع الله:

ظهر في أحداث غزة فئام من المسلمين أساءوا الظن بالله تعالى، فمن ضان أنَّ الله ينصر اليهود أو النصارى أو غيرهم من الكفار على المسلمين نصراً دائماً، إلى ضان أن الحق سيظل مغلوباً من الباطل، إلى ضان أن ما يجري لا حكمة فيه، أو أنه يحصل عبثاً، والله تعالى يقول محذراً من سوء الظن به: ﴿يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لاَ يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحَّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (آل عمران:١٥٤).

وما وقع في غزة من الأمور المؤلمة التي رآها الناس إنما حدثت لحكم عظيمة يعلمها الله، وهذا من حسن الظن بالله تعالى، لكن ضعف فهم بعض الكتاب لسنن الله، واستغراقهم في رصد الوقائع وتفسيرها دون النظر إلى الحكم الربانية

منها، ومآلاتها، إنما كان سبباً في ظهور بعض المخالفات العقدية المتعلقة بجانب حسن الظن بالله واليقين بموعوده بالنصر.

بعد ثلاثة أيام من العدوان يُعلن عبدالرحمن الراشد[١] عن انتصار الصهاينة، متجاهلاً الحصار والتآمر الدولي ومتجاهلا عجز الصهاينة عن اقتحام غزة، حيث يقول: (**نحن مجبرون على احترام حماس لو خططت للحرب، وكانت قادرة على إلحاق الهزيمة أو بعضها، أو اضطرت الإسرائيليين نحو خيارات سياسية صعبة**). ثم يستهدف التقليل من شأن المقاومة، فيقول: (**إلا أن حماس صارت عبارة عن كيس ملاكمة يفتك بها، وبأهالي غزة، الإسرائيليون لكماً وبوحشية**). ثم يكشف الراشد عن معاييره للربح والخسارة، متجاهلاً الصمود والثبات في داخل القطاع، والإصرار الغزاوي الذي قاد جبابرة العالم إلى تحالف سياسي وإعلامي (جديد) ضد المقاومة الفلسطينية في غزة، فيقول: (**ميدانياً استطاعت إسرائيل هدم كل ما يتبع حماس أو استولت عليه من فتح، وراح في**

(١) الشرق الأوسط ٢ محرم ١٤٣٠هـ.

الحرب خيرة من أفرادها بشكل عبثي، فهل كانت الصواريخ الاستعراضية كل هذا العذاب والدمار مجاناً؟).

ويدعو محمد المحمود[1] إلى النظر برؤية مادية إلى أحداث غزة: (**لقد وصل التضليل الشعاراتي العربي إلى درجة اغتيال العقل؛ حتى في أشد مكوناته صرامة ووضوحا**). ويؤكد دعوته من خلال طلبه استخدام لغة الأرقام: (**إن لغة الأرقام لغة محكمة، لم تتفق العقول -رغم اختلافها على شيء- إلا عليها**). ثم يوجه سخطه وسخريته إلى العقول التي تؤمن بالجوانب المعنوية: (**ومع هذا يتفرد العقل العربي الشعاراتي، ويشايعه العقل الإسلاموي الحالم بفرضيات حسابية خاصة، بل وخاصة جدا. فكل العقول البشرية تدرك أن رقم (٥٥٥) أكبر من رقم (٣)، إلا العقل العربي المجيد - الذي يدهش العالم كل يوم باختراع خاص وفريد! -؛ إذ لا يزال يصر، بل ويؤكد - ومن بعد ذلك يصدق نفسه - أن رقم (٣) أكبر من رقم (٥٥٥)؛**). ويتجاهل المحمود أن الفارق ليس فقط بين الرقمين في الجوانب الحسية، فالموت ليس النهاية،

(١) الرياض ١١ محرم ١٤٣٠ هـ.

ويؤكد ذلك بقوله: (**ولتذهب لغة الرياضيات الصارمة إلى الجحيم؛ ما دامت لا تؤكد فرضيات النصر المبين، الذي تحقق - بزعم حماس - لضحايا غزة**)؛ ويعذر المحمود على هذا الكلام إن كان لم يقرأ قول الحق: ﴿وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ وَكَانَ اللّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (النساء:١٠٤).

لكنه ربما لن يُعذر لقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ (الإسراء: ٣٦).

ويقول تركي الحمد في مقالته (ولكن ماذا عن الإنسان في غزة)[١] مستعرضاً تجاهله السنن والنواميس الربانية الثابتة: (**في بداية الهجوم الإسرائيلي على غزة، ظهر الأخ إسماعيل هنية على شاشات التلفزيون مصرحاً بأن المقاومة لن تستسلم، ولن تتراجع، حتى لو أبادت إسرائيل غزة ومن فيها**)، ثم يملي الحمد موقفه الشخصي على القارئ منكراً القيم التي تحرك الشعب الفلسطيني، ومتجاهلاً حقيقة الانتصار التي يجسدها القرآن الكريم

(١) الشرق الأوسط ١٤ محرم ١٤٣٠ هـ.

في قصة (أصحاب الأخدود)، فيقول: **(وابتسمت حينها بمرارة، وأخذت أحدث نفسي: وما نفع المقاومة إذاً إذا أُبيد من يُقاوم لأجلهم، أي الإنسان الفلسطيني؟ ما فائدة الأرض إذا أبيد الإنسان؟ ما فائدة أي شيء وكل شيء، إذا كان الإنسان هو الثمن؟)**.

لكن لم يقف الحمد عند ذلك، حتى أعلن تجاهله لأصل من الأصول التي يقوم عليها تصور المسلمين للقضية ﴿ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاء اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد:٤) قائلاً: **(أليست المقاومة هي من أجل الإنسان في فلسطين؟ من أجل حريته وعزته وكرامته وحقه في العيش الكريم؟ إن لم تكن مقاومة من أجل هذه الأهداف، فهي في النهاية لا تعدو أن تكون عبثاً أو ضرباً في خواء)**؛ ونقول له أليس الجهاد والصمود والثبات على الحق من أجل كرامة الإنسان؟ أم تشك في أن في تشريع الجهاد هو تقليل لقيمة الإنسان؟! ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦).

ويؤيد طارق الحميد[1] في مقالته (مسرحية الدوحة) فكرة تركي الحمد بطريقة غير مباشرة يوحي فيها بتحمل المقاومة كل ما يجري للفلسطينيين وقضيتهم، حيث يقول: **(وبالتالي فإن ما رأيناه في الدوحة كان يرتكز على أمرين، ضمان ترسيخ سلطة حماس وخالد مشعل بعد كل ما فعلته حماس بالفلسطينيين وقضيتهم، وتمهيد الأرضية لإعلان انتصار المحور الإيراني السوري القطري مع حماس مع قرب وقف العدوان).**

ويعود عبدالرحمن الراشد[2] محاولاً إحباط الأمة التي احتفلت بانتصار غزة (الصمود والثبات على المبادئ): **(أما شقها الضعيف فيتجلى في أن الحركة وهنت ميدانياً، من جراء قصف الآلة العسكرية الإسرائيلية الرهيبة)**، ثم يعبر عن رؤيته للانتصار، وملمحاً بطريقة غير مباشرة إلى انتصار إسرائيل: **(وأحرجها الهجوم أمام مواطنيها بسبب عجزها عن حمايتهم من القتل الإسرائيلي المروع، تضاف إلى ذلك أشهر من المعاناة التي لا سابق لها من حصار**

(١) الشرق الأوسط ١٩ محرم ١٤٣٠ هـ.
(٢) الشرق الأوسط ٢٢ محرم ١٤٣٠ هـ.

طويل حرم الناس من أبسط ضرورات العيش. وكل ذلك صارت تلام عليه سياسة حماس). ثم يعلن تجاهله لسنن الله، وجهله بمعايير النصر والهزيمة في ثقافتنا الإسلامية: **(ولن يكون سهلاً إقناع كثير من أهالي غزة بمنطق مواجهة النملة للفيل، رمي إسرائيل بصواريخ كرتونية، والأهالي في المقابل يدفعون ثمنها أطفالهم).** وبعد ذلك يوجه انتقاده إلى المحتفلين بالنصر والصمود، محاولا التعامل مع القضية على أنها قضية عربية قومية ومتجاهلاً كونها قضية إسلامية، خاصة في أحداثها الأخيرة، حيث يقول: **(لا يهم تهليل العرب في الخارج لبطولات حماس، لأنهم تعودوا الترحيب بتضحيات الآخرين، وقد لدغت هتافات الشارع العربي قادة أعظم شعبية وتجهيزاً من حماس، مثل عبد الناصر وصدام. واجب حماس مراعاة رضا أهالي غزة أكثر من إطراب العرب).**

وكذلك محمد المحمود[١] الذي شُغل بالبرهنة على عدم ارتباط القضية بالدين – تديين الصراع كما يسميه – لم يتجاهل السنن الربانية التي ينطلق منها المسلمون

(١) الرياض ٢٥ محرم ١٤٣٠ هـ.

في تفسير مجريات الأحداث وحسب، بل تعدى ذلك إلى إنكار ارتباطها بأحداث غزة، فيقول: (**ومن سلبيات تديين الصراع، أنه يحجب المأساة الإنسانية عن طريق تبريرها بفرضيات الصراع المقدس. فمهما بلغت المأساة، فهي - كما يدّعون - مأساة في سبيل الله، والأموات فيها ليسوا أمواتا، بل أحياء**). ثم يبرر لمن يتجاهل سنن الله قائلا: (**ومن يشكو أو يحاول أن يشكو شدة وقع المأساة، يجب عليه أن يراجع عقيدته، ويتأكد من يقينه بوعد الله الذي لا يخلف الميعاد**). وليته وقف عند هذا الحد، لكن الأمر أخذ بعداً أخطر من ذلك، عندما يصرح باتهام الوعي المؤمن بوعد الله لمن قتل في سبيله، حيث يقول: (**وهكذا - كما يتسرب إلى الوعي - لا وجود لقتلى أو جرحى؛ رغم آلاف القتلى والجرحى، ولا وجود لدمار؛ رغم أن حجم الدمار الهائل يفضح حجم غباء المتسببين بكل هذا الدمار. فكل هذه المآسي تحجب عن الإدراك الواعي، عن طريق نقل حساباتها إلى العالم الآخر، عالم الغيب**). ثم يختم تشكيكه بكلمات عبر فيها عن حجم المشكل وعمق تأثيراته، فيقول: (**وبما أن الإيمان - قبل الواقع - يقضي**

بأن لا أحد سيطلع على غيب ذاك العالم الآخر؛ فلتستمر المأساة على الأرض الفلسطينية، وبلا حدود) وكأنه لم يقرأ قول الحق تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَؤُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران: ١٦٨).

ويواصل محمد المحمود[١] عرض جهله بحقائق الإسلام، ولكن بطريقة أخرى، عندما يُسلم بأنها حرب مقدسة، وهو لم يُسلم بذلك إلا ليفند آراء الخصوم الذي نصّب نفسه ضدهم، فيقول: (**إنها حرب مقدسة - كما يقولون -. وبما أنها كذلك، فهي بلا خسائر؛ رغم كل هذه الخسائر. ومن هنا، فأنا أصدق إسماعيل هنية؛ عندما قال: سنواصل ولو أبيدت غزة كلها**).

ويعود المحمود من جديد ليُفسّر معارضته تديين الصراع، اعتراضا على النتائج التي ربما تتحق، فيقول: (فمن منطق تديين الصراع، الذي يجعل المعركة لا تدور في عالم واحد، عالم مرئي ومشاهد، وإنما في عالمين منفصلين: مشاهد وغائب، لا ضير أن تباد غزة كلها؛ ليبقى هو: أميراً

(١) الرياض ٢٥ محرم ١٤٣٠ هـ.

ولو على الحجارة!. أما آلاف الضحايا - أو حتى الملايين إن اقتضى الصراع - فقد انتقلوا إلى عالم أجمل وأروع).
وكعادته ينتهي إلى سخريته من المقدس الذي يؤرقه أن تكون حركه الناس في كنفه فيقول: (**وما الضرر أن يحصل كُلٌّ على ما يريد ؟ من جهة، يُقتل أهالي غزة؛ فيذهبون إلى جنان الخلد، التي هي - حتماً - أفضل لهم من هذه الدنيا البائسة. ومن جهة أخرى، يظفر إسماعيل هنية وأصفياؤه والمقربون بالسلطة وأمجاد الصمود في هذه الدنيا. إذن، حسب هذا التصور؛ أين المأساة؟ الجميع حاز على ما هو أفضل من واقعه. هؤلاء فازوا بالجنة، وهؤلاء بالسلطة والمجد**).

وطارق الحميد[1] له أيضاً رأي في النصر غير الذي تفهمه الأمة، لكنه وفق معايير مادية أرضية لا تطمح في النظر إلى السماء، رغم حجم المنجزات الأرضية التي تحققت للمقاومة فيقول: (**وغريب أن مشعل يعلن النصر رغم قتل قرابة ١٣٣٠ فلسطينيا، وهدم ٤٠٠٠ منزل في غزة، ناهيك عن ٥٣٠٠ جريح، ثم يعود ليتحدث عن «وسخ الدنيا» أي**

(١) الشرق الأوسط ٢٦ محرم ١٤٣٠ هـ.

الأموال، رغم انه هو القائل إن الألم عابر، والأذى عابر، أوليست الأموال من ضمن ما هو عابر أيضا؟).

ثم يضيف الحميد معلناً رفضه لانتصار المقاومة ومنبهاً القارئ حتى لا يُستغفل: (**أحد الزملاء نبهني إلى أن عبارة «وانتصرت غزة» التي وضعت خلف مشعل مضللة، مثلها مثل العبارة التي وضعت خلف جورج بوش قبل ثلاث سنوات عن العراق، والتي كتب عليها «اكتملت المهمة»).** وعلى طريقته غير المباشرة يُعلن أن إسرائيل هي المنتصرة حيث يقول: (**وهذا ما سيتنبه له الناس اليوم، وهم يرون حجم الكارثة في غزة**). لكن السؤال: كيف يعتبر رئيس المكتب السياسي لحركة حماس خالد مشعل في كلمته التي ألقاها ليل أول من أمس من مكانه الآمن في دمشق ما حدث انتصاراً؟!، وهذه معايير تكشف تجاهله أو جهله بحقائق الإسلام وسنن الله الثابتة.

وفي السياق نفسه يعبر تركي الدخيل[1] عن رأيه بعيداً عن السنن الربانية، وحقيقة الانتصار، والمتاجرة مع الله حيث يقول: (**أي انتصار يشرد الناس، ويقتل الأطفال**

(١) الوطن ٢٦ محرم ١٤٣٠ هـ.

ويثكل الأمهات يا مشعل؟! ليست قصتنا هل حققت إسرائيل أهدافها أم لم تحققها، لكن قضيتنا أن أهالي غزة دفعوا ثمناً لبطولات وهمية وانتصارات فارغة بحث عنها البعض).

ثم يمارس الدخيل نوعاً من الإرجاف الذي ربما يساعد على تمرير الفكرة التي يريدها: (**هل القصة من وراء كل ذلك أن يتعامل الناس مع «حماس» أم لا يتعاملون، كما بدا هدفاً رئيساً لكلمة مشعل، عندما قال: آن لكم الآن أن تتعاملوا مع حماس؟! هل كانت حماس تحتاج لتجبر الآخرين ليتعاملوا معها إلى قتل الغزّاويين، وتدمير بيوتهم وتشريدهم؟! أي ثمن قذر هذا الذي يحتاج الإنسان أن يدفعه ليرضي غرور زعامات تبحث عن خدمة أنفسها وحركتها لا إنسانها ؟! ليتك سكت يا خالد مشعل!**) وهذا أيضاً نموذج لضعف الإيمان بالقضاء والقدر، تجلى في جهل أو تجاهل السنن الربانية الثابتة، التي تستلهم منها الأمة المسلمة حقيقة الانتصار وحقيقة المتاجرة مع الله، لتكون رقماً صعباً في واقع الحياة، تقف أمامه أفهام الماديين عاجزة عن استيعاب ما يجري.

رابعاً: الجهل بحقيقة الصراع مع اليهود، وموعود الله بالنصر عليهم:

من مقتضيات الإيمان بالله سبحانه وتعالى الإيمان بما جاء في كتابه الحكيم: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ (المائدة:٨٢)،وسبب ذلك هو عنادهم، وجحودهم، وغمطهم الحق. وهذا مرتبط بسنة الله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ (الحج: ٤٠).

ومن مقتضيات الإيمان بالنبي ﷺ التصديق بوعده في أن نهاية اليهود حين ينزل المسيح ستكون على أيدي المسلمين، حيث قال ﷺ: (لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِىُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِي خَلْفِى فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ. إِلاَّ الْغَرْقَدَ فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ).

لكن هذا العداء والصراع التاريخي لا يمثل مرتكزاً في طروحات بعض الكتاب. فهذا حمزة المزيني[1] يتجاهل هذه الحقائق الإيمانية ويقول: (**إن الأمل الوحيد في تحقيق الشعب الفلسطيني شيئا من طموحاته الوطنية -في غياب توازن القوى بينه وبين العدو الإسرائيلي- يكمن في إحياء الانتفاضة السلمية الأولى بوسائلها السابقة التي استخدمها بكفاءة**)، وكأن الكاتب لم يسمع قول الحق تبارك وتعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ (الحج: ٣٩)، ثم يؤكد مراده مرة أخرى قائلا: (**واللجوء إلى المقاومة المدنية التي حققت في كثير من أنحاء العالم نتائج لم تحققها المقاومة التي تستخدم العنف**)، وفي هذا مغالطة للحقائق التي تعرفها شعوب العالم عن وسائل دحر المحتلين والظلمة.

ويتجاهل محمد المحمود[2] أخلاق اليهود كما وصفها الله، وحقيقة الصراع بيننا وبينهم، ليبرئ إسرائيل من بعض ما نُسب إليها، حيث يقول: (**تاريخ الدولة الصهيونية، لم**

(١) الوطن ٤ محرم ١٤٣٠ هـ.

(٢) الرياض ١١ محرم ١٤٣٠ هـ.

يخل من جرائم وانتهاكات وحشية، جرت في أوقات كانت درجة الرقابة الدولية والرصد الإعلامي العالمي أقل مما هما عليه الآن. لكن، وفي هذه الحرب الأخيرة على غزة، لا تستطيع إسرائيل قصف المساجد ولا المستشفيات ولا مناطق الكثافة السكانية؛ لا لأن لديها رادعاً ذاتياً يمنعها، وإنما لأنها لا تستطيع فعل ذلك ؛ وإلا ستخسر منطق الصراع أمام العالم الذي يتابع تفاصيل الحدث لحظة بلحظة). ثم يوجه هجومه على من يتهم الصهاينة بذلك حسب زعمه: (**ومن هنا، فإحجامها عن مثل هذا الاستهداف الذي يدعيه الشعاراتيون الصاخبون، إحجام براجماتي لا غير. فتأكيدنا على هذا لا يعني أننا نمتدح السلوك الإسرائيلي، أو نمنحه مسحة أخلاقية، وإنما يعني أن هذا هو الواقع الموضوعي، ويجب أن نراه كما هو دون تزييف أو تضليل**)، فأي واقع يتكلم عنه المحمود؟

وعلى طريقة المحمود كتب جميل الذيابي[1] مهاجماً كل من يتحدث عن صراع أبدي مع اليهود فيقول: (**هناك مرارة عندما يكون الفهم محدوداً، والعقل مربوطاً،**

(١) الحياة ١٢ محرم ١٤٣٠ هـ.

والمزايدون والمتاجرون بدماء الأبرياء يتكاثرون، على رغم معرفتهم سلفاً بأن الخاسر الوحيد هو فلسطين وشعبها، خصوصاً القابعين منهم تحت وطأة آلة عسكرية إسرائيلية إرهابية، تقتل الصغير قبل الكبير)، وكأنه لم يسمع قول الحق: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ (المائدة: ٨٢).

ويعود محمد المحمود[١] لتمرير فكرته تجاه القضية حيث يقول: **(الإشكالية الثانية التي تفوق - في الأهمية - الإشكالية الأولى (إشكالية لغة الخطاب التحريضي)، هي إشكالية تحويل الصراع الفلسطيني الإسرائيلي إلى صراع ديني)**. ثم يطرح الحلول مغيباً النصوص الصريحة التي يفهمها عامة الناس فيقول: **(وهنا، لا بد من نزع الفتيل، أي لا بد من التأكيد على أن الصراع بيننا وبين دولة إسرائيل ليس صراعا دينيا، وإنما هو صراع على حق مسلوب، صراع بين ظالم ومظلوم)**. ولكن لماذا ؟! يجيب هو: (لا بد من تنزيه الدين عن هذا الصراع)، وهو بهذا قد أرهق نفسه في إبعاد الأمور عن حقيقتها، لا لشيء إلا للقيام

(١) الرياض ١٨ محرم ١٤٣٠ هـ.

بدور الإرجاف حتى يكتمل المشهد وفق سنن الله الثابتة. وماذا سيقول المحمود لو قرأ قول الحق: ﴿ **الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** ﴾ (الحج: ٤٠).

ويستمر المحمود[١] في إنكار الحقائق، حتى وصل الأمر به إلى إنكار الصراع بين الحق والباطل وبين الخير والشر، فيقول: (**الأديان لا تتصارع، وإنما القائمون عليها. وهؤلاء مرتبطون بالزمني والمباشر أكثر من ارتباطهم بالمثالي والمتعالي. هذا إذا افترضنا أن الصراع يدور بين أتباع ديانتين، على خلفية انتماء حقيقي عند كليهما**). ولكن المحمود لا يجهل السنن وحسب، بل يجهل حقائق الواقع الذي يتعامل معه ويُفتي في شأنه، حيث يقول: (**أي إذا افترضنا أننا نخوض الصراع من حيث نحن مسلمون، وهم يخوضونه من حيث هم يهود. وليس هذا هو الواقع الذي تكاد تحجبه ادعاءات هؤلاء وهؤلاء، بل ويستغله الشعاراتيون من هؤلاء وهؤلاء**). هذا الادعاء الذي يسوقه

(١) في صحيفة الرياض ١٨ محرم ١٤٣٠ هـ.

المحمود إن صدق على طائفة من أمتنا، إلا أن اليهود لا يُخفون هذا الأمر بل ويستلهمون من نصوصهم المقدسة ما يُذكي التحالف بينهم وبين بعض الديانات الأخرى لبناء الهيكل المزعوم !

ثم يملي محمد المحمود على القارئ خلاصة ما يفهمه في هذا الشأن فيقول: (**إذن، الصراع صراع على الأرض، وليس صراعا على الحقائق الدينية بين الإسلام واليهودية**). وبعدها يعرض النصوص التي يستشهد بها فيقول: (**وهذا النفي ليس من اختراعي، وإنما هو رأي أكبر الدارسين العرب- المسلمين لليهودية والصهيونية: (عبدالوهاب المسيري). المسيري لم يقدم هذا الرأي نتيجة دراسة عابرة، أو حتى في رأي عابر، وإنما قدمه بعد دراسة معمقة لليهودية والصهيونية، واهتمام طويل بهما؛ امتد لأكثر من أربعين عاما**). والكاتب بهذا الاقتباس يغالط ما ذهب إليه المسيري رحمه الله ويوظفه للبرهنة على فكرته.

يقول المسيري في مقدمة كتابه (البروتوكولات واليهودية والصهيونية) ص٥ ما نصه: «إن كره اليهود يصب في خندق الصهيونية، وإن جذور العنف الصهيوني تعود بالدرجة

الأولى إلى التشكيل الاستعماري». فما الذي يريد المحمود الوصول إليه إذن؟ هل يريد أن نتجاهل حقائق القرآن: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ... ﴾ (المائدة: ٨٢).

لنقرأ إجابة المحمود نفسه على هذا السؤال حيث يقول: (**عندما يشير القرآن إلى اليهود، فإنه يعاين اليهود في زمن خاص، ومكان خاص أيضا. يهود المدينة وخيبر (= الكوهانيم) ليسوا هم - فقط - يهود آنذاك. ويهود العالم آنذاك - بما فيهم يهود المدينة وخيبر - ليسوا يهود اليوم.**

هناك أنواع ودرجات من التمايز، تجعل من المستحيل تطبيق وصف واحد جوهراني على اليهود قاطبة؛ ومن ثم التعامل معهم على هذا الأساس)، ليتنا نعرف المؤهلات التي تجعل المحمود يتورط في مثل هذا الكلام!

ثم يوظف المحمود كلام المسيري مرة أخرى، قائلا: (**ولهذا يجزم المسيري بأن «الغالبية الساحقة ليهود العالم لا ينطبق عليها التعريف الإسلامي لليهود»**).

لا بأس، ولكن هو ينطبق على المحتلين لفلسطين، فما

الذي يغيض المحمود؟ الذي يغيضه كما يقول في مقالته بعنوان: (تديين الصراع لماذا ؟) [١]: (فضلا عن كونه - كما سبق - تزييف للواقع، وإنكار لحقائقه، هو إسباغ للقداسة على أطراف الصراع، وعلى وقائع الصراع. وإذا حدث هذا؛ أصبح من المستحيل معاينة الوقائع كما هي؛ لأن كل طرف هو عند مؤيديه مقدس، وفعله مقدس أيضاً. وحين تصبح الوقائع والأشخاص على هذا النحو، يصبح الصراع بين إيمان وكفر، ومن ثم، يستحيل وضع الفعل الإنساني - البشري موضع المساءلة؛ لأن الفعل سيصبح عدوانا على الإيمان؛ كتفريع منطقي للعدوان (المساءلة النقدية هنا) على الأشخاص).

لكن هذه هي الحقيقة، فالصراع بين حق وباطل، وبين كفر وإيمان، فماذا يريد المحمود إذن ؟ إنه يخشى أن يُصنف ومن على شاكلته بناء على موقفهم، ويعبر عن ذلك بصراحة مع محاولة ماكرة للتعبير عن المقاومة والجهاد والقيام بالواجب الشرعي على أنه موقف سياسي مصلحي لحماس ليس إلا، قائلا: (**إذا أصبح الصراع الإسرائيلي -**

(١) الرياض ١٨ محرم ١٤٣٠ هـ.

الفلسطيني، صراعا إسلامياً - يهودياً، يصبح المتردد والمتحفظ على طبيعة الصراع، خائناً، ومن ثم، كافراً. فالمسلم الذي لا يوافق على خوض الصراع على طريقة حماس يصبح - في نظر مديني الصراع - مؤيداً لإسرائيل، وداخلاً في تحالفات الكفر ضد الإيمان. أي أنه في خانة الكفر صراحة أو ضمنا).

ثم يخوض الكاتب المحمود معركة من نوع آخر ضد العقل المهتدي، فيقول في خلط واضح بين الحق والباطل والكفر والإيمان حتى لا يكاد يرى حقاً ثابتاً: (**وفي الطرف المقابل، يصبح اليهودي - الإسرائيلي، الذي يعارض همجية السلوك الصهيوني، متآمراً ضد اليهود واليهودية، وربما - حتى ولو كان يهوديا!- معادياً للسامية. وكي يهرب المسلم من تهمة العداء للإسلام، يضطر لتأييد الصراع كما تقوده حماس، وكي يهرب اليهودي من تهمة العداء لليهودية، يضطر لتأييد الصراع كما يقوده الصهاينة. وكلاهما يهرب من الاتهام بالكفر، الذي يقود إليه تديين الصراع)** فيا ليت الكاتب يجيب الآن ويقول لنا من الكافر من طرفي الصراع ومن المؤمن في نظره ؟!

وفي السياق ذاته يقول طارق الحميد في مقالته (مسرحية الدوحة)[١] منتقداً خطاب المقاومة في قمة غزة الطارئة في الدوحة، ومتجاهلاً حقيقة المتاجرة مع الله: (**مشعل الذي قال ما لا يجرؤ حتى الإسرائيليون على قوله، ولو قاله أحد من العرب لنصبت له المشانق، إذ يقول إن الألم والأذى في غزة عابر! تخيلوا هذا الكلام ونحن أمام أكثر من ألف قتيل وخمسة آلاف جريح**). ويواصل الحميد عرض فكرته مستبعداً يد الله من الأحداث ومتجاهلاً طبيعة الصراع الديني للقضية فيقول: (**إلى هذا الحد بلغ الاسترخاص بالدم الفلسطيني. أهكذا يتم تصوير الوحشية الإسرائيلية في غزة على أنها ألم عابر؟ الآن فهمنا لماذا صُفّي معظم من صفي من قيادات حماس في غزة داخل المنازل!**).

إن هذه النماذج التي عرضت تُجسّد ضعف الإيمان بقضاء الله وقدره، لذلك فهي تجهل أو تتجاهل طبيعة العلاقة مع يهود، وطبيعة النفسية والعقلية اليهودية كما يصفها العليم الخبير، وبناء عليه يصعب أن تؤمن بوعد الله بالنصر

---

(١) الشرق الأوسط، ٢٠ محرم ١٤٣٠ هـ.

عليهم ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدُبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ﴾ (آل عمران:١١١).

خامساً: التعلق بالحراك السياسي والمنظمات الدولية والدول الغربية:

كانت حرب غزة امتحاناً أوجد خَدْشاً في بعض البيانات والخطابات والتحركات التي كان من ضمنها مناشدة المنظمات الدولية والمجتمعات البشرية بوضع حدٍّ للحرب وإيقاف العدوان ونصرتنا على العدو.

وفي هذا السياق يحاول عبدالرحمن الراشد[١] أن يمرر بشكل غير مباشر فكرة أن المقاومة مثلها مثل بقية الناس تستنجد بالأمم المتحدة وتتعلق بجهودها لإيقاف الحرب، ويهدد المقاومة بحاجتها للجميع، فيقول: (**وهذه المعارك الجانبية في وقت تحتاج حماس لدعم الجميع يبين حجم أزمة فراغ في موقع القائد الأول للحركة، الذي يمكن اعتباره مسؤولاً أخيراً. فمن الغريب جدا أن حماس بقياداتها تطالب بوقف جرائم آلة القتل الإسرائيلية**

(١) الشرق الأوسط، ١٤ محرم ١٤٣٠ هـ.

وإبادة الشعب الفلسطيني في غزة، وتستنكر تباطؤ مجلس الأمن، وعندما يقوم فريق عربي ومعه عدد كبير من وزراء عرب بالعمل لأيام في نيويورك لاستصدار أمر بوقف إطلاق النار، يتنطع بعض مسؤولي حماس لمهاجمة الذين عملوا من أجله). ثم يتهم الراشد المقاومة بأنها تعمل لإرضاء غير الله، قائلا: (**تناقض واستهانة بأرواح الناس ولعب سياسي لإرضاء محاور قسمت الفلسطينيين، بل وقسمت حماس نفسها**).

أما طارق الحميد في مقالته بعنوان: (حماس غزة وحماس دمشق)[1] فاستهدف افتعال التناقض بين المدافعين عن غزة من داخلها ومن خارجها، واتهم قادة المقاومة بأنهم ركنوا إلى إيران وسوريا لحماية شعبهم، ويدعوهم إلى تغيير وجهة ركونهم إلى جهات أخرى، متجاهلاً خطاب المقاومة المتعلق بالله وحده دون سواه. يقول الحميد: (**إلا أن قادة حركة حماس، وتحديداً في دمشق، لا يستوعبون هذا الأمر، ويبدون أبعد ما يكونون عن فهم السياسة، وقبلها ضرورة حماية أبناء شعبهم، وعلى منْ تركنُ الحركة في**

(١) الشرق الأوسط، ١٧محرم ١٤٣٠ هـ.

حماية أهل غزة؟).

ويقترح علي الموسى[1] أن تشكو المقاومة حالها وما أصابها إلى الناس، علهم أن يساعدوها، في أسلوب غير مباشر يدعو إلى الاعتراف بأن الصهاينة قد انتصروا، حيث يقول: (وهنا سأكون – عملياً – بتقديم مقترح أعترف أن الوقت قد فات عليه: كنت أتمنى لو أن العائلات الفلسطينية المنكوبة احتفظت بكل جثث القتلى من الشهداء حتى نهاية الحرب، ثم سارت إلى وسيلتين: الأولى، أن تخصص بعد فترة من نهاية الحرب يوماً خاصاً للدفن تخرج فيه كل عائلة فلسطينية وراء عائلها أو طفلها في مشهد جنائزي جماعي يخرج فيه الشهداء إلى القبر حاسري الرؤوس أمام الإعلام العالمي الذي انشغل أيام الحرب بملاحقة الصواريخ على حساب الضحايا الذين ذهبوا إلى القبور دون وسيلة لتعرية المجرم أمام العالم). ويواصل الموسى اقتراحه باستجداء الناس وتسول التعاطف العالمي مع قضيتنا، قائلا: (**الثانية أن تبعث برفات كل شهيد إلى كل مدينة على وجه هذه**

(١) صحيفة الوطن ٢٢ محرم.

الأرض تتطوع وأهلها أن يدفنوا الضحية: تخيلوا لو أننا وزعنا الشهداء على ١٥٠٠ مدينة في قارات الدنيا وطلبنا من أهل الضمير الحي بتلك المدن أن يستقبلوا رفات كل شهيد من المطار إلى المدفن). ثم يعلن -دون حياء- أن الاستجداء وتوسل التعاطف أفضل لنا من وصية ربنا وأمره لنا: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦)، لأن هدفه فضح إسرائيل وليس إزالتها كما ترى المقاومة، فيقول: (**نحن لن نفضح إسرائيل إلا بتعريتها أمام الرأي العام العالمي ونحن سنقتل صورتها لا بصواريخ التنك بل بأشلاء الأطفال وأوجه الكهول وأجساد النساء في يوم جماعي للدفن أو في قبور تنتصب في مدن الأرض، حتى تعرف الأرض بأسرها حجم الكارثة).**

وفي سياق الاستجداء والاستعطاف دون المقاومة كتب حمزة المزيني[١] يقول: (**لكن مثل هذه الجهود لمخاطبة**

(١) الوطن ٢٥ محرم ١٤٣٠ هـ.

العالم من أجل كسب تأييده لقضايانا تقتضي أن يكون خطابنا بعيدا عن مشابهة هذه الفتاوى المتخلفة. ويعني هذا أن أول ما يجب أن يتصف به خطابنا البعدُ عن التعميم. ومما يوجب البعد عن التعميم أن هناك أصواتا يهودية شجاعة كثيرة وقفت في معارضة المشروع الصهيوني منذ بدايته قبل أكثر من مائة عام).

لم يغضب المزيني لما جري في غزة، ليس لأنه لا يغضب، بل لأن أمراً أخراً يؤرقه، فما الذي يؤذي مشاعره ياترى؟! يقول: (**لكن المشكل أن هناك إشارات كثيرة في الخطاب العربي أثناء هذه الأزمة تشهد بتشابه بين خطاب المتعصبين من اليهود، ومنهم بعض حاخاماتهم، وخطاب بعض العرب. فمن الرائج الآن أن يوصف اليهود جميعاً، في دعاء القنوت وفي غيره، بأنهم أبناء القردة والخنازير، وغير ذلك من الصفات المذمومة**). وهذا وإن كان حقاً فإنه حق لا يريده، بل هو استرسال مقصود لإشغال ذهن القارئ عن قراءة الأحداث كما هي في الواقع على أرض غزة، يقول المزيني: (**ومن أمثلة هذا التعميم المذموم ما قاله أحد كبار علمائنا، مع الأسف، في إحدى**

صحفنا الكبرى. إذ يرى صواب سياسة هتلر فيما يخص اليهود. فيقول: «يذكر أن هتلر قال: لقد كنت قادراً على إعدام اليهود قاطبة من جميع أوروبا وروسيا ولكني أبقيت من أبقيت منهم ليعذرني العالم على ما فعلت وليرى منهم وفيهم ما رأيت. ومعذرة العالم له مؤكدة ما قاله عن اليهود من خبث ومكر وفساد وإفساد واستعلاء على البشر...»). ثم يصنف المزيني الناس إلى أصحاب قلوب حية وعكسها، ولكن ما معيار التصنيف؟ إنه الفرح باستئصال هتلر لليهود، فأصحاب القلوب الحية لا يفرحون بذلك ولا يعجبهم، وأصحاب القلوب الميتة يعجبهم ذلك: (ولا يسع أصحاب الضمائر الحية من العرب إلا أن يستنكروا هذا الموقف الذي يدخل في تأييد الطغاة القتلة وسياستهم الاستئصالية لبعض البشر الذين لا يعجبونهم، ليس لأن هذا هو الصحيح سياسياً وحسب، بل لأنه المتعيِّن أخلاقياً)!

ولكن ماذا عن الساكت عن محاولة استئصال الصامدين في غزة؟ المعايير منتكسة هنا، لأن واقع هذه الأفهام لا يبشر بخير، والدليل هوما يقوله المزيني نفسه: (**ويدخل في هذا الخطاب المستنكَر قول**

خالد مشعل، أحد زعماء حماس، أول ليلة للعدوان الإسرائيلي: «نحن أحفاد الذين يطلبون الموت فتوهب لهم الحياة، أما أنتم فأحفاد الذين لا يحاربونكم إلا في قرى محصنة»)، فيا لله العجب ألا يعلم المزيني من أين لأمتنا هذا الخطاب؟ أم أنه يهدف إلى المساواة بين الحق والباطل، والظالم والمظلوم، والمجاهد في سبيل الله والمقاتل في سبيل الشيطان؟

المبحث الثاني
الأخوة الإيمانية والولاء للمؤمنين في آراء الكتّاب

ظهرت أسمى معاني الأخوة الإيمانية في أحداث غزة في العالم الإسلامي كله تجسيداً لقوله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ﴾ (التوبة: ٧١). لكن هذه المعاني غابت لدى عدد من الكتاب عينة الدراسة، فوقعوا في أخطاء تناقض هذا الجانب الإيماني، ومنها:

أولاً: الدعوة الصريحة للتخلي عن المجاهدين في سبيل الله دفاعاً عن دينهم ومقدساتهم ووطنهم:

في وقت المحن والأزمات يتوجب القيام بحق الأخوة ونصرة المظلومين ومساعدة المكلومين، وهذا بحق ما قامت به الأمة والأمم المتجردة في العالم أجمع، إلا أن

بعض المسلمين أظهر دعوات مباشرة وغير مباشرة إلى التخلي عن المقاومة وعن الصامدين المرابطين في غزة.

يقول طارق الحميد[١] في لغة إثارة للحكومات العربية ضد المقاومة الفلسطينية: (**وبالطبع قادة حماس يطالبون العرب بأكثر من بيانات استنكار، أي أن نُسلم أمرنا لحماس حرباً وسلماً. خالد مشعل يقرر متى يهادن، ومتى يقصف بصواريخ التنك، ونحن نقول سمعا وطاعة**). وفي المقال نفسه يطالب بكل صراحة التخلي عن المقاومة، متهما قياداتها بتخوين العرب، رغم عدم وجود مستند يؤكد أن قيادات المقاومة الفلسطينية خونوا أحداً من العرب، لكنه يحسب تصريحات بعض قيادات الأحزاب الشيعية على المقاومة في إشارة ضمنية إلى وجود ارتباط بينهم، يقول: (**الوقوف مع أصحاب القضية لا يعني أن نجعلهم ورقة للعب بيد حماس، ومن خلفها. على العرب أن يسموا الأشياء بأسمائها طالما أن حماس ومن يقف خلفها لا يترددون في توجيه التهم والتخوين للعالم العربي. دعوهم يتحملون مسؤوليتهم ولو مرة واحدة**).

(١) الشرق الأوسط ٢٩ ذي الحجة ١٤٢٩هـ .

ويتفق معه عبدالرحمن الراشد[1] فيعلن بكل صراحة عن موقفه من المقاومة، متجاهلاً فصائلها المختلفة، وموجها هجومه وتشكيكه إلى الرمز (حماس)، فيدعي أن المقاومة تبحث عن المعركة مع إسرائيل، ولا يهمها الشعب الفلسطيني في مقابل تحقيق مكاسبها السياسية الخاصة، في مغالطة صارخة تغض الطرف عن الحقوق الفلسطينية التي دأبت المقاومة على حفظها، فيقول: (**ومع هذا يجب ألا نلوم حماس لأن أهدافها واضحة. فهي تنشد معركة مع إسرائيل، ولا تهمها النتائج حتى لو أفنت إسرائيل غزة، كما قال رئيس حكومتها إسماعيل هنية**). ثم يفسر الراشد لماذا تريد حماس معركة مع إسرائيل في أسلوب ساخر: (**حماس تريد معركة تحرج الدول العربية لتتحرك لصالحها، وتريد أن تفرض نفسها قوة سياسية رغماً على السلطة الفلسطينية، بدعوى مواجهة العدو، ولا يهمها كم فلسطينياً يقتل في معركة الفيل والنملة**).

وفي السياق ذاته يستهدف فارس بن حزام[2] الإيقاع

(١) الشرق الأوسط، ١ محرم ١٤٣٠ هـ.
(٢) الرياض، ٢ محرم ١٤٣٠ هـ.

بين المتعاطفين مع المأساة والمنكوبين في غزة، قائلا: (والحال مثلها في غزة عند حماس وأنصارها. إذ لم تتردد حماس عبر الناطق الرسمي باسمها في تجهيل المساعدات السعودية كافة، بعد حفلة من الردح في التخوين، أشعلها في مؤتمره الصحافي). ثم يملي توصياته ويوجه نحو السلوك الصحيح من وجهة نظرة، قائلاً: (**هذه التبرعات الحكومية والشعبية لم تمنحا البلاد جمهوراً وفياً كافياً لمن يعطي المال من جيبه. ومازلنا نتذكر طوال الثمانينيات حين كانت الريالات تقتطع من تذاكر المباريات الرياضية والمخصصات الدراسية لصالح القضية العربية الكبرى، ما الذي تغير؟ لا شيء، سوى المزيد من التخوين والشتائم**).

ولن يستطيع القارئ أن يحسن الظن بهذا النص إلا أن يتجرد من ذكائه!

أما مشاري الذايدي[1] فيرى أن الأمة المتعاطفة مع أهلنا في غزة تفتقد إلى العقل والحكمة كونها تدار من قبل أصحاب مصالح دون أن يعلموا حقيقة من يتعاطفون معه

(١) الشرق الأوسط، ٢ محرم ١٤٣٠ هـ.

ويناصرونه، وهذا النوع من الأساليب الذايدية هدفه توبيخ المتعاونين مع المقاومة، حيث يقول: (**وإذا ما تم استثارة الشارع العربي تحت عنوان نصرة فلسطين ومحاربة الصهاينة، فيمكن تصريف طاقة الغضب هذه إلى مسارات أخرى قد تبدو بعيدة عن صلب الموضوع، أي أن المسألة هي في تخليق طاقة غضب موجهة، ولا يوجد أفضل من الصاعق الفلسطيني لاستثارة بارود الشارع، ومن ثم قيادة الغضب باتجاه تحريك نواعير المصالح الخاصة بإيران ومحورها العربي، المتمثلة في إرغام مصر على ترك حماس تتحرك بحريتها في غزة وواجب الاعتراف بها، أو في الأقل التعامل معها بشكل واقعي قسري، هذا ما يفسر التركيز على مصر حالياً**).

ويوجه محمد بن عبداللطيف آل الشيخ[1] الدعوة إلى عدم التعاطف وعدم دعم المقاومة أو الاحتفاء بها ويصف من يفعل ذلك بـ (الساذج) –هكذا–، ويرى أن الفلسطينيين أنفسهم لا تهمهم هذه المقاومة ولا تربطهم بها مصالح، فيقول: (**إذا كانت كل هذه الدماء، والأطفال والنساء**

(١) الجزيرة، ١١ محرم ١٤٣٠ هـ.

والرجال الذين يموتون، والدمار، والجثث المدفونة تحت الأنقاض لا تمثل (خسارة) لحماس، معنى ذلك أن الذي يخسر (منفرداً) هو الإنسان الفلسطيني المستقل، الذي لا تهمه مصلحة حماس، ولا مصالح إيران في المنطقة، والذي جعل منه (الحماسيون) ومن أطفاله (درعاً) بشرياً، ومن دمار مدينته وبنيتها التحتية مادة إعلامية تستقطب بها الشعوب (السذج) لمناصرتها).

ويعود مشاري الذايدي[1] ليمارس التقليل من شأن المتفاعلين مع واقع الأحداث في غزة قائلا: **(ومن أظرف وأخطر ما رأيت في هذا الصدد الخبر الذي نشرته صحيفة الوطن الكويتية عن دعوة أحد رموز تيار الجهادية السلفية في الكويت وممن له حظ طيب في ملف التطرف، الى استقبال تبرعات غزة وإيصالها في ظرف نصف ساعة إلى أهلها دون المرور بشروط الحكومة الكويتية، بل بمعرفته الخاصة، كما نشرت صحيفة الوطن الكويتية)** [2].

أليس هذا هو الواجب على الأمة حكومات وأفرادا؟!

(١) الشرق الأوسط، ١٦ محرم ١٤٣٠ هـ.
(٢) في عددها الصادر بتاريخ ١١ يناير ٢٠٠٩ م.

فما الذي يغيض الذايدي إذن ؟

يكشف كلامه اللاحق خوفه من وصول هذه المساعدات أو قيام الناس بواجبهم فيقول: (**الحقيقة أنه في زحمة الصورة الكبيرة، وفي ضجيج المظاهرات، وبين يدي جلال الألم ورهبة الموت وانكسار الأم المفجوعة بولدها، في هذا الاكتظاظ المشاعري الإنساني، يتسلل باعة العملات المضروبة في السوق السوداء، عملات من كل نوع وبكل لغة، ولا يتضح مدى ما جنوه من مكاسب غير نقية إلا بعد هدوء العاصفة، لذلك نشير إليهم، الآن، وفي عين العاصفة**).

ويسخر فارس بن حزام[1] من مظاهر الجسد الواحد الذي انتفض لإنقاذ غزة فيقول: (**هل الصومال وحدها منشغلة؟ لا، حتى أفغانستان شهدت مظاهرة مماثلة ودعوات أخرى للجهاد في الضحية غزة. شيء مؤسف أن تجد أناساً من بلدين محتلين، هما أفغانستان والصومال، ينشغلون بقضايا الآخرين. والعنصر الساخر أيضاً في وجود من يتعاطى مع موقف كهذا بشيء من الجدية**).

(١) الرياض ١٦ محرم ١٤٣٠ هـ.

أما عادل الطريفي[1] فيدعو إلى رفض المقاومة الفلسطينية عربياً وإسلامياً ودولياً لأن المقاومة تضحي بالمدنيين، قائلا: (**لا شك، أن هذا المنطق الذي يبرر التضحية بالمدنيين، وسوق الأبرياء إلى الانتحار الجماعي، هو أمر طبيعي بالنسبة للحركة. بيد أن ذلك يجب أن يكون مرفوضا عربيا وإسلامياً ودولياً**)، ثم يتهم المقاومة باستخدامها الأبرياء لمشروعاتها الخاصة، في خطاب تحريضي تغيب عنه بدهيات الدين المختزلة في قول الحق: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ (النور:١٢)، فيقول غيرة على الأخوة الإيمانية: (**...إذ حقن دماء المدنيين والأبرياء ضرورة مقدمة على تحقيق أي هدف سياسي أو حزبي. الحركة تكابر بشكل غريب، فهي تهاجم الدول العربية المعتدلة كالسعودية ومصر، وترفض قرار مجلس الأمن الذي يدعو إلى الوقف الفوري لإطلاق النار، وتُفرّغ المبادرة المصرية بالقول أن فيها عناصر لمصلحة إسرائيل، وفوق ذلك - وهو الأهم - أنها لا تضع سقفا**

(١) الرياض ١٧ محرم ١٤٣٠ هـ.

محددا للتضحية بفلسطينيي القطاع، فهي لن تسعى للتهدئة مع العدو حتى ولو تضاعفت أعداد القتلى من المدنيين إلى أضعاف ما هي عليه اليوم، أو بحسب عبارة رئيس الوزراء المقال إسماعيل هنية «حتى لو أبادوا غزة بأكملها»)، وليت الأمر يقف عند ذلك، بل يتجاوز المعلوم إلى افتعال غير المعقول، فيقول: (**بل إن منطق الحركة بحسب خطاب مشعل الأخير يقول بأنهم سيتركون الرقم يرتفع حتى يحصلوا على انتفاضة ثالثة في الضفة ضد السلطة الفلسطينية وليس إسرائيل، وحتى يضغط الرأي العام الدولي على إسرائيل لوقف العدوان (وقف إطلاق النار) من جانب واحد**)، فماذا يرجى بعد هذا ؟

ومع غرابة بعض ما يطرح هنا وهناك إلا أن الخلط والتعسف الذي يمارسه محمد المحمود يمثل حالة تدعو إلى الشفقة من جهة، حيث يتهكم[١] واصفا إعلان الصمود (حتى لو أبيدت غزة) والذي صرخ به الصغير قبل الكبير في غزة والمدنيون قبل المقاومون: (كل هذا يدل أن لا قيمة للبشر في كل خطاب يتكئ على إيديولوجيات الصراع

(١) الرياض ٢٥ محرم ١٤٣٠ هـ.

المقدس).

فماذا يريد المرحبون بالإبادة في سبيل الله؟

يبدو أن المحمود فهم مالم تفهمه الأمة الواقفة خلف هذه المقاومة. تأتي الإجابة في قوله: (**وزعماء الإيديولوجية الحمساوية، يريدون من هذا التكتيك اللاإنساني، الظفر بإحدى الحسنيين: إما أن تتورع إسرائيل عن قصفهم في هذا التجمع البشري؛ لأن عدد الضحايا من المدنيين سيبلغ - حينئذٍ - حدا لا يحتمله الرأي العام. وبهذا ينجو القادة والكوادر الحمساوية المقاتلة من القتل؛ وإما أن تُقدم إسرائيل على القصف؛ فيتم استخدام حجم الضحايا من المدنيين؛ للتنديد بالهجوم الإسرائيلي**).

وهنا انكشف الغطاء وتبين أن علة المحمود تكمن في ظنه غير المحمود بإخوانه المسلمين الذي يستعدي الأمة ضدهم: (**وفي كلا الحالتين، تتحقق غاية سياسية، لا إنسانية: حماية الحمساويين، أو التشنيع على إسرائيل؛ لإيقاف الحرب قبل القضاء على حماس**).

هذه الدعوات الصريحة للتخلي عن المجاهدين في غزة إنما هدفت إلى تقليل حجم التعاطف العربي والإسلامي

مع أهل غزة، وفي الوقت ذاته استهدفت خنق فكرة الجسد الواحد التي تجلت في مواقف المسلمين عرباً وعجماً، وهذا يُخِلُّ بمفهوم النصرة في الدين ﴿**وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**﴾ (الأنفال: ٧٢)، والنصرة شرف يمنّ به اللّه على من يشاء.

ثانياً: العمل على تقويض الجبهة الداخلية للقطاع، ونزع ثقة المواطنين في قيادات المقاومة:

استهدف الكتاب عبر مقالاتهم زعزعة الجبهة الداخلية في غزة بالضغط على فصائل المقاومة، فلم تتوقف الكتابات التي استهدفت إضعاف الجبهة الداخلية في غزة التي امتدت حتى نهاية الحرب، وما بعدها. فهذا طارق الحميد[١] في اليوم الثاني للعدوان الصهيوني على غزة يقول لإثارة الجبهة الغزاوية ضد المقاومة: (**جرائم إسرائيل الواضحة يجب أن لا تنسينا ما فعلته وتفعله حماس في أهل غزة، والقضية الفلسطينية ككل، وإلا بتنا شهود زور في حفلة**

(١) الشرق الأوسط، ٢٩ ذي الحجة ١٤٢٩هـ.

تلميع المواقف الدموية. ولذا فإن التساهل مع حماس يجعل العالم العربي شريكا في معاناة الفلسطينيين). وحول هذا تمحورت مقالته الشهيرة بـ (دماء غزة.. مشروع تجاري) دون أن يمس الصهاينة ببنت شفة.

أما عبدالرحمن الراشد[1] فقد امتدح وزير الخارجية المصري لموقفه السلبي من حماس، ثم يعرف بحماس مستهدفا الجبهة الداخلية حيث يقول: (**وإذا استثنينا وزير الخارجية المصري أحمد أبو الغيط، فإن الجميع ساروا وراء حماس، التي ورطت مليون ونصف مليون فلسطيني بالتجويع منذ أشهر، ووصلت الآن إلى مرحلة جلب التدمير**).

ولم يكتف الراشد بذلك بل دعا صراحة أهل غزة إلى تفهم الصمت العربي على أفعال حماس بأنه خوف من أن يتهموا بالتحيز لإسرائيل، حيث قال: (**حماس تطلق صواريخ عبثية على إسرائيل فترد إسرائيل بهمجية ودموية، فيضطر الجميع إلى السكوت على ما فعلته حماس حتى لا يتهموا بأنهم مع إسرائيل**).

(١) الشرق الأوسط، ١ محرم ١٤٣٠ هـ.

ويدعم مشاري الذايدي[1] ما ذهب إليه الحميد والراشد فيقول: (**لأن هذا الترحم شيء طبيعي وشعور إنساني فطري، تجاه ضحايا وأبرياء غزة، خصوصاً من النساء والأطفال والعجزة والمدنيين الذين لا ناقة لهم مع حماس ولا جمل مع فتح**). ثم ينهي هذه المقالة المطولة (موسم الهجوم على مصر) بعد تسطيح للقضية وإبعاد القارئ عن حقيقة المعركة والصراع؛ بالعودة لتوجيه ضربات مباشرة للجبهة الداخلية والتباكي على الأبرياء فيقول: (**ربما لم نشاهد مستوى من الابتزاز العاطفي والاختباء خلف الدماء والجراحات والمقدسات مثلما تفعله حماس حالياً، على إيقاع حرب إعلامية منظمة، ومبيتة بليل، ضد مصر، ومصر فقط هذه المرة. لكم الله أيها الأبرياء في غزة**) !

وبالوتيرة نفسها يساند تركي الحمد[2] عملية زعزعة الجبهة الداخلية في غزة، من خلال إثارة الغزاويين على المقاومة ممثلة في رمزها (حماس)، مع تبرير لأفعال

(١) الشرق الأوسط، ٢ محرم ١٤٣٠ هـ.
(٢) الشرق الأوسط، ٢ محرم ١٤٣٠ هـ.

إسرائيل، وانتقادها على المبالغة في الرد، إذ قال: (**نعم إسرائيل ملومة بالمبالغة في ردة فعلها، الذي حصد البريء والمذنب معاً، ولكن حماس ملومة أيضاً، وهي التي تعرف أن سلوكها لا بد أن يؤدي إلى مثل ردة الفعل هذه، خاصة والكل يعرف مدى الحساسية الإسرائيلية تجاه مسألة الأمن، وعلى ذلك فإنه إذا كانت إسرائيل قد أجرمت بحق الفلسطينيين، فإن حماس شريكتها في الجريمة، بل وتتحمل الوزر الأكبر، وهي التي تعرف حجم ردة الفعل الإسرائيلية**)، ثم يتهم المقاومة بأنها كانت تتمنى هذا القتل والدمار، في استخفاف بعقول القراء، وتصريح مقيت يرفض المقاومة ويستعدي الأمة ضدها ويكشف عن الرغبة الجادة في المكر بها، حيث قال: (**وربما كانت تتمناها، والضحية الوحيدة في كل ذلك، هو الفلسطيني البسيط: رجلاً وامرأة، طفلاً وشيخاً، الذين لم يرحمهم العدو ولا رأف بحالهم الصديق، وتاجر بقضيتهم القريب**).

يوسف أبا الخيل بدوره وجّه بشكل مباشر ضرباته للجبهة

الداخلية قائلاً [١]: **(إذا كانت إسرائيل قد اجتاحت غزة بكل ما تملكه من آلية تدميرية متقدمة، فإن هناك، من الداخل الفلسطيني من استدرجها إلى ذلك، بوحي من أيديولوجيته، أو أيديولوجية من يدفعه من بعيد. تلك الأيديولوجية البراغماتية النفعية التي تتوسل الوصول إلى مراميها ولو على جماجم الأبرياء).**

ويغالط أبا الخيل الحقائق الميدانية، ويتطاول على المقاومة لفظياً، ويظهر عجزه عن فهم حقيقة الصراع وآثار المقاومة على الداخل الصهيوني، حيث يقول: **(كانت الأمور هادئة - نسبيا- رغم الحصار الظالم الذي ضربته إسرائيل على غزة وأهلها، حتى أعلن شيوخ حماس، بكل صفاقة وصلافة، إلغاء اتفاقية التهدئة مع إسرائيل من جانب واحد، مع دفع جناحهم العسكري لرشق المدن الإسرائيلية بالمفرقعات النارية التي لا تصيد صيداً ولا تنكأ عدواً، وكل ما تستطيع فعله إصابة مارٍ، أو هدم جزء من جدار يريد أن ينقض!).** ثم يدافع عن إسرائيل في أسلوب ضمني مع مواصلة تهكمه وسخريته من المقاومة

(١) الرياض، ٦ محرم ١٤٣٠ هـ.

وضرب علاقتها مع أهل القطاع والمتعاطفين من الأمة حيث يقول: (**وعندما ردت الآلة الجهنمية الإسرائيلية بصب حِممها فوق رؤوس العُزَّل من أهالي غزة، تطلع الملتاعون والمسكونون بهاجس الإنسان الفلسطيني إلى استجلاء موقف قادة حماس من تلك المجزرة، وهم الذين أوقدوا نارها، فإذا بإسماعيل هنية يعلن من مخدعه بأنهم «لن يغيروا مواقفهم حتى ولو علقتهم إسرائيل على المشانق وأسالوا دماءهم في الشوارع ومزقوهم إلى أشلاء!!». واتبعه قطب آخر، هو النائب الحماسي في المجلس التشريعي الفلسطيني، (مشير المصري)، بالتأكيد بأنهم «سيقاتلون حتى آخر رمق في حال نفذت إسرائيل عملية برية على قطاع غزة»**).

وللقارئ أن يعجب من أين يستقي هذا الكاتب معلوماته عندما يعمد الى قلب الوقائع والحقائق لتكون دليلا له بدل أن تكون ضده، يقول: (**ولأن مثل هذا التأكيد النظري، من قبل قادة حماس، على ثوابت الحركة، ربما لا يكفي لقطع الطريق على من يظن بشيوخها بقية من إنسانيةً، فقد أتبعته الحركة بتأكيد عملي قاطع، عندما رفضت فكرة فتح**

معبر رفح لإرسال الجرحى إلى المستشفيات المصرية، مطالبة مصر بفتحه بشكل كامل ودائم!!. في موقف يعبر عن الانتهازية السياسية في أشد حالاتها تطرفاً).

ويفصح أبا الخيل عن رغبته في الوقيعة بين المقاومين والمدنيين في القطاع بقوله: (**أما هنية ومشعل والمصري والزهار وحسن نصرالله ونعيم قاسم وبقية سدنة المشروع الإيراني، فلسان حالهم يقول: نحن فقط ومن يحركنا من بعيد، والطوفان لمن بعدَنا من الفلسطينيين واللبنانيين وبقية العرب والمسلمين**) !!

ويسير جميل الذيابي[1] في الركب ذاته فيبدأ بتحميل المقاومة ما يجري استعدادا لتوجيه ضربة إلى الجبهة الغزاوية الداخلية فيقول: (**«حماس» لا تفهم القوالب السياسية، وعندما تقولبت فيها فشلت، ثم انقلبت على أهلها ونفذت أوامر «المتآمرين»، وكان الأجدر بها الابتعاد عن السياسة والعودة إلى قواعدها كحركة مقاومة، يشرعنها احتلال الأرض واضطهاد ابن الأرض**). ثم يتوجه إلى الجبهة الداخلية مملياً عليهم عدم اتباع حماس: (**يجب**

(١) الحياة، ٨ محرم ١٤٣٠ هـ.

أن تعرف فلسطين «الصامدة» أن كل العرب معها قلباً وقالباً. ان العرب مع السلام وضد الاستسلام، لكن العرب لا يريدون إملاءات «حماسية»، تقول للبقية «اتبعوني» بقرارات «انفرادية»، وكأنهم قطيع. حتى اليوم الشهداء من الأطفال والنساء الأبرياء، وقيادات «حماس» «غير مرئيين»، إلا في الاستوديوهات التلفزيونية من دمشق وبيروت لا من غزة!)

ويشارك محمد المحمود[1] كعادته في مقالات الإرجاف، إذ كتب مستهدفاً الجبهة الغزاوية، وبمفردات تكشف عن تشنجه من المقاومة: **(لا عتب على الرابحين من المتاجرين بأرواح الأبرياء، بل وبأجسادهم - عن طريق عرضها اللاإنساني - بعد رحيل الأرواح إلى بارئها، فهم لن يتوقفوا عن هذه التجارة أو الدعارة؛ ما دام الرصيد السياسي في ارتفاع، لن يتوقفوا حتى آخر قطرة دم بريئة، وإنما العتب واللوم على الجماهير التي تُؤَمّن - في حالة انعدام كامل للوعي - على ما يقوله هؤلاء السماسرة والشعاراتيون الفارغون. لا عذر يسمح بمثل هذا الغياب**

(١) الرياض، ١١ محرم ١٤٣٠ هـ.

الكامل للوعي؛ بينما الأرقام والصور تتحدث بأفصح وأوضح مما تلوكه بألسنتها جوقة الخطباء).

ولم يغفل محمد بن عبداللطيف آل الشيخ[1] عن زعزعة الجبهة الغزاوية الداخلية حيث يقول: (**إذا كانت كل هذه الدماء، والأطفال والنساء والرجال الذين يموتون، والدمار، والجثث المدفونة تحت الأنقاض لا تمثل (خسارة) لحماس، معنى ذلك أن الذي يخسر (منفرداً) هو الإنسان الفلسطيني المستقل، الذي لا تهمه مصلحة حماس، ولا مصالح إيران في المنطقة).**

ويعود تركي الحمد[2] للقيام بدوره في زعزعة الجبهة الداخلية داخل مجتمع غزة قائلاً: (**الفلسطيني اليوم، الإنسان الفلسطيني البسيط، جائع وبلا كرامة أو حرية أو أي شيء يمكن أن يجعله إنساناً**). ثم يتوجه بهجوم لاذع على رئيس الحكومة في غزة (إسماعيل هنية) لأنه قال إن المقاومة لن تستسلم ولن تتراجع في إشارة إلى أن المقاومة هي سبب معاناة الإنسان الفلسطيني. ولم يكتف الحمد

(١) الجزيرة، ١١ محرم ١٤٣٠ هـ.
(٢) الشرق الأوسط،١٤ محرم ١٤٣٠ هـ.

بذلك بل وجه الاتهام للقيادة السياسية للمقاومة، قائلا: **(من بعد الأخ هنية، جاء الأخ خالد مشعل، الزعيم الفعلي لحركة حماس، وهو الآمن في دمشق، يبشرنا بعد أيام من الغارات الجوية الإسرائيلية على غزة، ومئات من القتلى، ناهيك عن الألوف من الجرحى، يبشرنا بأن المقاومة في غزة بخير، وأن الهجوم الإسرائيلي لم يؤثر على قدراتها إلا بأقل القليل، وكان يبتسم وهو يزف إلينا هذه البشرى من خلال شاشة التلفزيون).** ثم يكشف الحمد أنه لا يريد أن يرى من المشهد إلا ما يحقق مراده، فيقول: **(فلا بأس، والحالة هذه، أن تثكل الأمهات، ولا بأس أن تنتهي حياة شباب كانوا ينتظرون الحياة، ولا بأس أن يتيتم الأطفال، ولا بأس أن يموت الشيوخ رعباً وجوعاً، وتترمل النساء، وأن يُصبح في كل بيت فاجعة، طالما أن«المقاومة بخير»).**

هذا المشهد الذي رسمه الحمد من التباكي على الإنسان الفلسطيني لم يعضده ببشارة من البشائر التي وعد الله بها عباده الصابرين والمجاهدين، ولم يعضدها بحديث عن حقوق الشعب الأعزل والمحاصر، لأن الهدف هو إثارة الجبهة الداخلية في غزة والمتعاطفين في خارجها

ضد المقاومة، حيث يقول: (**حقيقة لقد تألمت كثيراً وأنا أتابع«بشرى»الأخ خالد، ويا ليته بقي صامتاً، أو كما نقول في أمثالنا الشعبية «يا زينك ساكت»، فمقياس الربح والخسارة عند أبي مشعل، وفق ذلك التصريح، هو سلامة أفراد حماس فقط، وسلامة ما تملكه حماس من عتاد ومنشآت، وسلامة الأنفاق، وسلامة العلاقة مع إيران وسوريا، وشيء من شعبية السيد وحزب اللّه أيام تموز ٢٠٠٦، حتى وإن كانت الدماء الفلسطينية هي الثمن، كما كانت دماء اللبنانيين هي الثمن. أما الإنسان، أي الفلسطيني البسيط في هذه الحالة، فلا قيمة له، بل هو مجرد وقود لحرب لا ناقة له فيها ولا جمل في النهاية**).

ولم يكتف الحمد بذلك بل أراد أن ينسف كل المبررات التي يمكن أن تطرأ على ذهن القارئ، فيخالف الحقائق ويدعي أن انتخاب الشعب الفلسطيني لحماس إنما كان لمحاربة الفساد الداخلي وليس لتحرير الأرض: (**ولم يصوت لها عندما صوت لحماس قبل سنين، بل كان يصوت لمحاربة الفساد لا لمحاربة إسرائيل**).

ويؤيد حماد السالمي[1] ما ذهب إليه المرجفون من قبله فيقول: (**الطرف الوحيد المهزوم في هذه المواجهة غير المتكافئة، هو شعب غزة الفلسطيني، الذي تحول فجأة، إلى (وجبة لذئاب الحرب)**، من مريدي الحرب، ومن مستفزي الحرب)، ثم يفصل بين المقاومة وبين أفراد المجتمع وكأنهم قد جاءوا من عالم آخر، قائلاً: (**فهو الطرف الوحيد الذي حُوصر وجُوِّع وعُطِّش وأُرهب، ثم قُتل وأُصيب منه الآلاف، ودُمرت مساكنه وأسواقه ومؤسساته، وحُرثت مزارعه، وأُحرقت حقوله وبياراته، فبدا صبيحة وقف إطلاق النار، وهو يبحث بين الأنقاض، عن جثث مدفونة، أو بقايا أشياء كانت لطفل أو امرأة في دور وبيوت تحولت إلى تراب لا أكثر..!**)

ويستمر طارق الحميد في توجيه ضربات مباشرة إلى الجبهة الداخلية للقطاع في مقالة [2]حاول فيها افتعال التناقض والتعارض بين قيادات المقاومة: (**على الرغم من أن خالد مشعل يقول من دمشق لا للهدنة الدائمة،**

(١) الجزيرة، ١٤ محرم ١٤٣٠ هـ.

(٢) الشرق الأوسط، ١٧ محرم ١٤٣٠ هـ.

ولا للتفاوض، ورفض الاتفاق المقترح للمعابر وفق صيغة اتفاق ٢٠٠٥، خوفا على سلاح الحركة لا أهل غزة، فإن حديث إسماعيل هنية من غزة أول من أمس جاء مختلفا. هنية ناقض تصريحات مشعل، رغم أنه تحدث عن أن مشهد الانتصار يغلب على مشاهد الدمار، وذلك عندما قال في خطابه «سنتعامل بإيجابية مع أي مبادرة من شأنها إنهاء العدوان والانسحاب ورفع الحصار وفتح المعابر») ويستخدم الحميد شواهد تصور الانهيار في داخل القطاع حين يواصل في المقالة نفسها قائلاً: **(صباح أمس بثت قناة «العربية» لقاء مباشراً مع شاهد عيان من غزة كان يتحدث بينما صوت الهجمات لا يغيب، حيث قال ما هو أبلغ من حديث قادة حماس. فقد قال الرجل «نريد وقف العدوان الآن.. ونريد الهدنة.. ونريد الوحدة.. ونريد أن نعيش. نحن أناس مسالمون يا أخي»!).**

وبأسلوب غريب حاول أن يشوه طارق الحميد العلاقة بين أبناء المقاومة في الداخل والخارج، مع تأليب للمواطنين داخل القطاع وهو هدف استراتيجي للعدو الصهيوني كان يستهدف من خلاله إضعاف المقاومة، - أعيد نشر هذه

المقالة على موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية -، يقول الحميد: (**الهم الأكبر اليوم هو إنقاذ غزة من براثن العدوان الإسرائيلي الوحشي الذي قارب عدد ضحاياه من القتلى قرابة الألف، لكن يبدو أن هذا الأمر ليس هاجس قيادات حماس دمشق على الإطلاق، حيث بات واضحا أن عدد القتلى في غزة ومعاناة سكان القطاع هما السلاح الأمضى لحماس دمشق**).

وفي السياق ذاته كتب عادل الطريفي[١] متجاهلاً الأحداث والأطراف المتعددة ومركزاً اهتمامه على الخطاب الذي يصدر عن قيادات المقاومة لتوظيفه في زعزعة الجبهة الغزاوية الداخلية، فيقول: (**غني عن القول أن هذا الكلام التعبوي معد للاستهلاك المحلي والخارجي، ولكنه مجانب للحقيقة، بل ومؤذ للمشاعر لأسباب عديدة، لعل أبرزها أن الحركة التي يعلن قادتها شروطهم ويظهرون على قنوات التلفزة العربية والأجنبية بمعدل أربع مرات لكل مسؤول، يرفضون وقف إطلاق النار حتى يحققوا أهدافهم كحركة، بينما يتساقط العشرات من المدنيين**

(١) الرياض ١٧ محرم ١٤٣٠ هـ.

الأبرياء يوميا تحت القصف الإسرائيلي دون تمييز)، وقد قاده اهتمامه بهذا الخطاب إلى الجزم بعدد مرات ظهور قادة المقاومة على شاشات القنوات الفضائية!

ويواصل عادل الطريفي محاولاته في كشف ما ادعى أنه شيء من التناقض أو الخيانة لدى قيادة المقاومة،إذ كتب: **(في تصريح لأحد زعامات الحركة لجريدة لوس أنجلس تايمز (١٢يناير)، قال ان الحركة لم تفقد إلا ٣٠من مقاتليها، والسؤال من هم هؤلاء الضحايا الذين يسقطون، إذا كان واجب المقاومة هو حماية أهل غزة، فلماذا تختبىء بين المدنيين، ويتوراى زعاماتها في الأقبية حفاظا على أرواحهم بينما يقتل المدنيون الأبرياء بلا حد)**. ثم يملي الطريفي الموقف المطلوب تبنيه من قبل الغزاويين قائلاً: **(منطق لا يمكن تفسيره بالمعايير الطبيعية، بل هي تضحية بالناس لتحقيق أغراض سياسية خاصة لهذا الحزب. تخيلوا حتى كتابة هذا المقال لم يسقط إلا ١٠جنود إسرائيليين، والمقاومة تقول انها تحقق انتصارات ربّانية لم تسجل في تاريخ الكفاح الفلسطيني)**.

وعلى طريقته الخاصة يعود محمد المحمود[1] ليوجه الاتهام إلى الأمة، واتهامه للمتعاطفين مع المقاومة بضعف قدراتهم العقلية! ولم يكن نقده لمصلحة يرجوها للقارئ كما هو السياق العام لمقاله، وإنما لزعزعة التأييد للمقاومة في داخل غزة وخارجها، فيقول: (**رغم كل هذا الوضوح، قد لا يدرك المأخوذون - من الجماهير والكوادر الميدانية الفاعلة - بتديين الصراع، تلك الحقيقة المرة، وهي أن آلاف الضحايا بين قتلى وجرحى، لم تكن إلا قرابين حمساوية، يدفعها الأبرياء؛ ليظفر القادة (الفاتحون!) بشيء من الانتفاخ الطاووسي أمام عدسات الإعلام الفضائي الصاخب، ليتبرجوا ويستعرضوا - كنجوم السينما - دقائق مدفوعة الثمن من دماء وأشلاء الإنسان الفلسطيني المخدوع**).

ويعود طارق الحميد[2] لاستهداف الجبهة الداخلية للقطاع، متهما المقاومة بالعمل لأهداف خاصة ببعض التنظيمات أو الأفراد، ومتهما إياها بتقسيم الفلسطينيين،

(١) الرياض ١٨ محرم ١٤٣٠ هـ.

(٢) الشرق الأوسط، ١٨ محرم ١٤٣٠ هـ.

ومختزلا تيارات المقاومة في حركة حماس لإخفاء رفضه لفكر المقاومة وحركاتها في فلسطين، حيث يقول: (**هكذا ترى حماس الأمور بكل بساطة وتسطيح، حيث لا تستطيع أن تفهم أن هناك من هو حريص على المشروع الفلسطيني ككل، وليس على التنظيمات والأفراد، وان كان لا بد من القول هنا إن الرئيس محمود عباس، لا يمكن أن يقارن بقيادات حماس؛ فأبو مازن رجل سياسي يستحق كل الدعم**)، ويضيف في اليوم التالي[1] في مقالة بعنوان (**نجاد... أنظروا من يتحدث**) فيقول: (**إيران وأعوانها هم من دفعوا حماس لنقض الاتفاق والانقلاب في غزة**).

أما محمد المحمود[2] فيتميز كعادته بوضوح هدفه، ربما للاستفادة من الفرصة (الهدف) على أكمل وجه، حيث يوجه ضربات غادرة إلى الجبهة الداخلية، ممزوجة بشيء من التباكي قائلاً: (**دماء الأبرياء وأشلاؤهم في غزة، أصبحت أوراقا سياسية، تلعب بها الإيديولوجيات، في محاولاتها الرامية لتعزيز مواقعها، ودعم مواقفها**

(١) الشرق الأوسط، ١٩محرم ١٤٣٠ هـ.
(٢) الرياض ٢٥ محرم ١٤٣٠ هـ.

التفاوضية. فإيران من جهة، وتيارات الأسلمة من جهة أخرى، هي الرابح الوحيد من هذا الصراع الدامي). ثم يتحدث وكأن المقاومة قد غزت دولة مسلمة! ليوقع بين القيادات وعامة الشعب الغزاوي فيقول: (**لهذا، لم يكن غريبا ولا مفاجئا أن يخرج الزعيم الملهم!: إسماعيل هنية - بينما القصف يلتهم الأبرياء، الذين لا يد لهم في هذا الصراع -؛ لينادي: النصر قادم، اصبروا...إلخ، أو لينادي - من قبل -: إن القتال (على السلطة، كما هو مضمر خطابه) مستمر؛ حتى ولو أبيدت غزة عن آخرها. كما لم يكن مستغربا أن يقوم نجوم الفضائيات الإسلامية، بالحديث إلى أهل غزة عن كون النصر: صبر ساعة، كما يقولون[١]، أو كما يهذون ويضللون)**.

ويعود طارق الحميد[٢] مجدداً، بعد اندحار العدو وصمود غزة، ليشكك ويرجف ويحذر الجبهة الداخلية في غزة قائلاً: (**ومن هنا يتضح أن المعركة القادمة في غزة هي معركة الأموال، لا معركة ترتيب البيت الفلسطيني،**

(١) القائل هو الصحابي الجليل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) الشرق الأوسط، ٢٦ محرم ١٤٣٠ هـ.

رغم كل ما حل في غزة. فمن كلام مشعل يتضح أنه ليس المهم إنقاذ القضية الفلسطينية، بل في يد من ستوضع الأموال!).

هذه نماذج تشير بوضوح إلى أزمة كبيرة تتعرض لها الأمة عندما يفقد بعض كتابها المنهج الذي يوجه كتاباتهم وتسيطر عليهم الأوهام والشكوك، تذكرك بقول الله عز وجل: ﴿الَّذِينَ قَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ (آل عمران: ١٦٨).

ثالثاً: محاولة تشويه صورة المجاهدين ونسبهم إلى مشروعات دينية وسياسية مرفوضة في المنطقة للتخفيف من التأييد للمجاهدين:

كانت فرية (تشيّع حماس) و(العمالة لإيران) من أكبر الموضوعات والأفكار التي روجها بعض الكتاب عينة الدراسة في أثناء الحرب على غزة، وهذه القضية لها بعدها الديني. ففي الوقت الذي يستخدم الدين مدخلاً للوصول إلى رفض للمقاومة الفلسطينية التي تورطت -زعموا- بالعمالة لإيران والتشيع، فإن الموقف المطلوب تجاه المتورطين

في التسامح مع الصهاينة لا ينطلق من الدين، والموقف من القضية الفلسطينية برمتها كذلك ينطلق من مصالح سياسية محتملة ويستبعد الدين، وبذلك ظهر أن الدين يستخدم عندما يتوافق مع الأهواء والمصالح الشخصية للمجموعات التي يُفترض أن تقود الأمة في صراعها مع العدو الصهيوني.

فهذا طارق الحميد[١]، بعد ساعات من المجزرة الصهيونية في غزة، يستهدف إثارة الرأي العام العربي ضد المقاومة متجاهلاً الحقائق، والوقائع الميدانية، وطبيعة الشروط التي قدمتها المبادرة المصرية وغيرها، ويوجه إليها عدداً من التهم (التطرف، العمالة لإيران، التلاعب بقضية فلسطين) إذ يقول: (وخيوط التنسيق واضحة، فحزب الله هيأ الرأي العام قبل أسبوع بدعوته للتظاهر من أجل غزة)، ويضيف بكل صراحة: (**فالمطلوب ليس قمة عاجلة، بقدر ما إننا بحاجة لموقف عربي حاسم. موقف يحمل المسؤولية للطرف المسؤول، فإذا كان التصعيد الحاصل الآن هو استهداف من قبل حماس**

(١) الشرق الأوسط، ٢٩ذي الحجة ١٤٢٩هـ.

وإيـران للمفاوضات المتوقعة بين سورية وإسرائيل فليسموا الأشياء بأسمائها، وإذا كان من أجل تعزيز الموقف السوري فليقولوا ذلك أيضا). ثم يؤكد الحميد في ثنايا مقالته أن لديه مشكلة كبيرة مع المقاومة، لذا فهو يبحث عن ربطها بأي جهة يرفضها القارئ، سواءً كانت لأسباب دينية أم سياسية، المهم أن ترفض المقاومة وتشوه صورتها، يقول: (**كما إن على العرب واجب القول للرأي العام إن ما تفعله حماس في غزة، وإفشال جهود التهدئة التي قام بها المصريون ما هو إلا تصويت لنتنياهو في الانتخابات الإسرائيلية. فالمتطرف دائما ما يبحث عن متطرف يبرر وجوده، ووصول نتنياهو لرئاسة الحكومة الإسرائيلية يبرر ما تفعله إيران أو حماس، وحتى وجود سلاح حزب الله أمام الرأي العام العربي**).

وفي سياق صناعة الفجوة بين المقاومة الفلسطينية والأمة المسلمة السّنية كتب مشاري الذايدي[١] مستغلا توظيف الشيعة للحرب للفوز بزعامة الأمة، ومبرراً لكل من

(١) الشرق الأوسط،٢ محرم ١٤٣٠ هـ

يرفض التعاطف مع الفلسطينيين في غزة، فيقول: (**فما يحدث في غزة يؤثر دوماً في مصر، لكن إيران من خلال حماس تريد من مصر تسليم القطاع وفتح حدودها بدون قيد أو شرط لشيعتها في حماس. ووصل الأمر مع سيد الحزب الإلهي في خطبته الأخيرة التي حرض فيها جيش مصر على التمرد على السلطة، إلى أن يطلب من مصر السماح بعبور كل شيء عبر الحدود حتى السلاح إلى حماس، وإلا فهم خونة وشركاء في الجريمة!**).

أما تركي الحمد[1] فيحاول إيهام القارئ بوجود شبه بين المقاومة الفلسطينية ممثلة في حركة حماس وبين الحزب الشيعي في لبنان، وليس ذلك لتعاطف مع السنة، إنما لإضعاف التعاطف الإسلامي مع المقاومة، حيث يقول: (**فما حزب الله أو حماس إلا لعب «أراجوز»، تحركهم إيران من وراء الستار، وقتما تشاء، وكيفما تشاء، وليذهب الفلسطينيون إلى الجحيم.. وهم في الجحيم يعيشون..**).

(١) الشرق الأوسط، ٣ محرم ١٤٣٠ هـ

محمد بن عبداللطيف آل الشيخ بدوره يعلق على تطمين قادة المقاومة للأمة على قلة الخسائر فيقول[١]: **(نعم، حماس لم تخسر إلا القليل والقليل جداً مقارنة بالأرباح التي جناها (الإيرانيون) من حربها مع الإسرائيليين. وحماس لم تخسر إلا القليل والقليل جداً مقارنة بما جناه (الإخوان المسلمون) من مكاسب سياسية في مواجهة السلطات الحاكمة المصرية المرتبطة بمواثيق ومعاهدات، ويهمها -أولاً- مصالح أكثر من ٧٠ مليون إنسان مصري)**. ولم يكتف آل الشيخ باتهامه للمقاومة الفلسطينية أنها تعمل لمصلحة إيران، فعاد من جديد للتأكيد على هذه القضية دون وجود أدلة أو براهين، مع استخفاف بعقول القراء، وإلا فهل يرى أن تستسلم المقاومة حتى لا تُشغل إسرائيل عن إيران؟، يقول: **(وحماس لم تخسر إلا القليل والقليل جداً مقارنة بصرف أنظار العالم عن السلاح الإيراني (الذري) الذي تسعى إيران لامتلاكه لتكون القوة**

(١) الجزيرة، ١١ محرم ١٤٣٠ هـ

المهيمنة في المنطقة، والمتحكمة بقراراتها السياسية والاقتصادية).

ويقول مشاري الذايدي[1] موجها دفاعه ووقفته مع مصر في خطاب إلى المصريين لتحريضهم على المقاومة: (**الحديث هنا ليس عن موقع حماس في هذه الحرب، ولا عن طبيعة دورها ومآلات خطابها ورؤيتها الرفضوية، ولا عن مغازي التحريض الإيراني عن بعد، على طريقة العالم فاروق الباز في فكرة الاستشعار عن بعد، ولا عن حقيقة هتافات أحمدي نجاد ودروسه المقدمة للعرب عن واجب الشهادة والاستشهاد والنضال من أجل فلسطين حتى آخر قطرة دم فلسطينية**). ثم يعمد الذايدي في المقالة نفسها إلى التحذير من مشاركة تيارات متعاطفة مع المقاومة في المشروع الإيراني، قائلاً: (**حين تحول التناكف بين تيار الأخوان المسلمين وبين جماعة الحزب الوطني الحاكم إلى مسرح جديد هو مسرح الأحداث في غزة، فصعد الأخوان من لهجتهم،**

(١) الشرق الأوسط، ١٦ محرم ١٤٣٠ هـ

وأكثروا من هجاء السياسة المصرية في تطابق تام مع لغة أحمدي نجاد وحسن نصر الله وخالد مشعل).

ويشارك عادل الطريفي[١] في ترويج الفكرة، ولكن على طريقته الخاصة في الإرجاف من خلال توظيفه كماً هائلاً من الأحداث لتأييد فكرته، يقول: (**المعادلة باتت واضحة، هذه حرب تخدم أطرافا محددة، ويستخدم فيها الفلسطينييون كثمن لتحقيق أهداف الآخرين. زعيم حزب الله الذي ألقى أكثر من أربعة خطابات تحريضية ضد الدول العربية، وخون فيها الجميع، وضلل بها الكثيرين لم يقدم أي شيء يذكر للفلسطينيين، بل إن حزبه يستخدم الورقة الفلسطينية (اللاجئين) لعقد تحالفات مع العماد ميشال عون وحزبه، وحين أطلق صاروخ (طائش) من الجنوب سارع الحزب لإنكاره والبراءة منه، وهو الذي كان يدعو لإشعال جبهة رفح على الجانب المصري، والجيش المصري للانقلاب على الحكومة المصرية).** ويواصل الطريفي استدعاء

(١) الرياض، ١٧ محرم ١٤٣٠ هـ

الأحداث للدلالة على مراده، دون احترام لعقل القارئ الذي بات يفهم أن هؤلاء الساسة يستغلون الأحداث كما يستغلها الكتّاب لتحقيق مآربهم، إذ يقول: (**أما إيران التي تسجل آلاف الانتحاريين لنصرة فلسطين، فأعلن مرشدها أن إيران ليس بوسعها عمل شيء للفلسطينيين وأمر أتباعه بالعودة لبيوتهم من المطار**).

وكذلك محمد المحمود[1] وبالمنطق ذاته المنتكس على العقل والذات، يحمل المقاومة مسؤولية نجاح الشيعة في استغلال الأحداث للفوز بالريادة: (**الآن تربح إيران، ويزدهر نفوذها تغلغلاً في العالم العربي؛ عبر الدُّمى الحمساوية، ويزداد - في الوقت نفسه - وهج الإسلاموية تألقا، وتدخل - من بوابة فلسطين - إلى قلوب الجماهير، تلك الجماهير التي تركت هذه البوابة مفتوحة على مصراعيها لكل المهرجين والغوغائيين، ولكل المستغلين لضحالة الوعي الجماهيري في الشارع الإسلامي**). ثم يحذر المحمود الشعب الفلسطيني والأمة المسلمة، بل ويتهمهم بالمغفلين إن

(١) الرياض، ١٨ محرم ١٤٣٠ هـ

لم يصدقوا حديثه قائلاً: (**وبينما يربح هؤلاء وهؤلاء، ليس ثمة من خاسر إلا الإنسان الفلسطيني في غزة المنكوبة، حيث يرقص عشاق السلطة وتجار الشعارات الإيديولوجية على أشلائه الممزقة؛ لتكون هذه الأشلاء الطاهرة وليمة لأكلة لحوم البشر؛ أولئك الذين يظهرون - أو يتظاهرون فيصدقهم المغفلون! - في صورة الأتقياء الأنقياء المخبتين**).

ويواصل طارق الحميد(١) تشويه صورة المقاومة السنية في غزة، وينسبهم جورا وظلما إلى المشروع الإيراني، حيث يقول: (**خرج التجار من خلال مايكروفوناتهم؛ أبرزهم تجار غزة، بل كبيرهم، الرئيس الإيراني أحمدي نجاد الذي ظهر في مؤتمر صحافي كان يقرأ فيه من نفس الورقة التي قرأ منها حسن نصر الله يوم هاجم مصر**).

ويقول محمد آل الشيخ(٢) ضمن مسلسل التشكيك في المقاومة بغية إضعاف الصف الإسلامي: (**حماس في فلسطين هي (الحزب الإسلامي) في أفغانستان،**

(١) الشرق الأوسط، ١٩، محرم ١٤٣٠ هـ
(٢) الجزيرة، ٢١ محرم ١٤٣٠ هـ

وحكمتيار الأمس هو خالد مشعل اليوم، وليلة غزة هي بارحة كابل، واللعبة هنا وهناك لا علاقة لها بالدين ولا بنصرة الجهاد، ولكنها مصالح متشابكة ومعقدة ومتداخلة توجهها دائماً وأبداً المصالح). ثم يهاجم المتعاطفين مع الحرب في غزة ويملي السلوك المرغوب تبنيه قائلاً: **(والذي لا يقرأ التاريخ، ولا يعي متغيراته، ولا يتابع الحاضر وتوجهاته، قد يبدو له المشهد على غير حقيقته)**، وهي حقيقة نرجو أن يدركها هو.

المبحث الثالث
البراءة من الكافرين في آراء الكتاب

يقول اللّه عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة:٥١)، وهذا يعني عدم مظاهرة الكافرين، أو الدفاع عن جرائمهم، وقد تجلى شيء من مناقضة هذا الأصل العقدي الكبير في هذه الأحداث من بعض الكتاب عينة الدراسة، ومنها:

أولاً: تبرير العدوان الصهيوني على غزة واعتباره رد فعل على أفعال المقاومة:

في الأزمات تتجلى الحكم والمقاصد الربانية من سنة الابتلاء والتدافع بين الحق والباطل، وفي الأزمات أيضا

يتضح مستوى التعلق بالله والثقة به، يقول الله تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَـؤُلاء دِينُهُمْ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ فَإِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (الأنفال: ٤٩). وإذا كانت هذه هي الحقيقة، فقد خالفتها كتابات عينة من الكتاب موضوع الدراسة، عمدت إلى تهويل القوة المادية الصهيونية متجاهلة قوة الله سبحانه وتعالى وقوة الواثقين بربهم.

وليس بغريب أن يظهر في الأمة من يبرر للمعتدي والظالم، ذلك أن وجود هذه الفئة مطلب لاكتمال المشهد وفق سنن الله الثابتة، ولذا ليس لمؤمن أن يتوقع أن يكون الجهاد في سبيل الله محل رضا وقبول كل المسلمين، لكن المؤلم أن يكون من المسارعين في تبرير الظلم والعدوان بعضاً من أبناء هذه البلاد المباركة.

يقول طارق الحميد[1]: (**واليوم وبعد سقوط أكثر من ألف قتيل وخمسة آلاف جريح في غزة، ومع قرب انتهاء العدوان الإسرائيلي، يخرج لنا التجار لاستثمار الجرح، استعداداً لمرحلة ما بعد العدوان. فورطة التجار**

(١) الشرق الأوسط، ١٩ محرم ١٤٣٠ هـ

وفضيحتهم كبيرة، وستزداد بعد أن تظهر فظائع الجريمة الإسرائيلية على الأرض. فعندما قلنا أول أيام العدوان إن «دماء غزة مشروع تجاري» نرى اليوم التجارَ بأم العين)، ويتضح الأمر في مقالته التي حملت عنوان: (دماء غزة مشروع تجاري) !

أما تركي الحمد[1] فيقول عن جريمة إسرائيل في غزة: **(ولكن، ومن زاوية أخرى، فإن السلوك الإسرائيلي مفهوم، منظوراً إلى المسألة سياسياً. فإسرائيل تتعرض للاستفزاز المتكرر من قبل حماس، حين ترشقها بالصواريخ بشكل شبه يومي، فما هو المتوقع من إسرائيل والحالة هذه، وهي الدولة التي قامت واستمرت في الحفاظ على وجودها بالقوة والحل العسكري؟ نعم إسرائيل ملومة بالمبالغة في ردة فعلها، الذي حصد البريء والمذنب معاً)**. ويعود بعد ذلك في المقالة نفسها لتأكيد فكرته (براءة إسرائيل) قائلاً: **(بضعة صواريخ حماسية، أو النقل بضع ألعاب نارية حماسية، تقتل إسرائيلياً أو تجرحه، كافية لإثارة إسرائيل، التي لا يشكل**

(١) الشرق الأوسط، ٣ محرم ١٤٣٠ هـ

فردها مجرد وقود لفكرة أو آيديولوجيا معينة، بقدر ما أنه كيان له قيمته الذاتية).

ويمارس يوسف أبا الخيل[1] دوره التبريري للصهاينة، بعد أن أغدق عليهم شيئًا من التهويل والثناء الذكي فيقول: **(إذا كانت إسرائيل قد اجتاحت غزة بكل ما تملكه من آلية تدميرية متقدمة، فإن هناك، من الداخل الفلسطيني من استدرجها إلى ذلك، بوحي من أيديولوجيته، أو أيديولوجية من يدفعه من بعيد. تلك الأيديولوجية البراغماتية النفعية التي تتوسل الوصول إلى مراميها ولو على جماجم الأبرياء).** ثم يشرع أبا الخيل في شرح الأحداث للوصول بها إلى رؤيته التي لا تتجاوز حدود المحسوس والمشاهد أمامه قائلاً: **(كانت الأمور هادئة - نسبيا- رغم الحصار الظالم الذي ضربته إسرائيل على غزة وأهلها، حتى أعلن شيوخ حماس، بكل صفاقة وصلافة، إلغاء اتفاقية التهدئة مع إسرائيل من جانب واحد، مع دفع جناحهم العسكري لرشق المدن الإسرائيلية بالمفرقعات النارية التي لا تصيد صيداً ولا تنكأ عدواً،**

---

(١) الرياض، ٦ محرم ١٤٣٠ هـ

وكل ما تستطيع فعله إصابة مارٍ، أو هدم جزء من جدار يريد أن ينقض!).

إذن، هم السبب حسب رأي أبا الخيل.

ولكن ماذا عن الصهاينة؟

هل سينالهم شيء من هذا التهكم والاستخفاف والبذاءة اللفظية؟

للأسف النص شاهد على الحال، بل فاضح للحال، يقول: **(وعندما ردت الآلة الجهنمية الإسرائيلية بصب حممها فوق رؤوس العُزَّل من أهالي غزة، تطلع الملتاعون والمسكونون بهاجس الإنسان الفلسطيني إلى استجلاء موقف قادة حماس من تلك المجزرة، وهم الذين أوقدوا نارها، فإذا بإسماعيل هنية يعلن من مخدعه بأنهم «لن يغيروا مواقفهم حتى ولو علقتهم إسرائيل على المشانق وأسالوا دماءهم في الشوارع ومزقوهم إلى أشلاء!!»)**.

وحتى لا يبقى أمل لأحد في أن يقول أبا الخيل مقالته في الصهاينة، عاد مؤكداً: (ولأن مثل هذا التأكيد النظري، من قبل قادة حماس، على ثوابت الحركة، ربما لا يكفي لقطع الطريق على من يظن بشيوخها بقية من إنسانية، فقد

أتبعته الحركة بتأكيد عملي قاطع، عندما رفضت فكرة فتح معبر رفح لإرسال الجرحى إلى المستشفيات المصرية، مطالبة مصر بفتحه بشكل كامل ودائم!!. في موقف يعبر عن الانتهازية السياسية في أشد حالاتها تطرفاً)!.

أما محمد المحمود(١) فقد أرقه خطاب الكراهية ضد الصهاينة قائلاً: (**كراهية العدو الإسرائيلي، ومحاولة إلهاب العواطف ضده، بتصويره بمثل هذه الوحشية، واستجداء التدخل العالمي، كل هذا لا يبرر الكذب والتزييف). وحتى لا يتهم بشيء من التهم المعلبة والجاهزة قال مبررا لنفسه: (خلق رؤية مزيفة لوقائع الحرب، لا يضر العدو بل يضرنا، ويجعلنا نتوهم أشياء لا وجود لها، ونتعامل مع عدونا، ليس كما هو، وإنما كما تصنعه عواطفنا التي يتلاعب بها الشعاراتيون المتاجرون بالقضية والإنسان).**

إذن، فالمحمود يخشى على الأمة من اقتناعها بأن الصهاينة مجرمون ومعتدون، لأن ذلك سيضرنا!

ويستمر تركي الحمد في تصعيد خطاب التبرير وإلقاء

---

(١) الرياض، ١١ محرم ١٤٣٠ هـ

التهم على المجاهدين فيقول[1] (**فلا يأخذنا مجرد الغضب والعاطفة بعيداً، فنجعل من همجية إسرائيل، ولا مبالاة واشنطن، شماعة نلقي عليها ملابسنا القديمة، ولا أريد أن أقول القذرة**)، والمثير فعلاً تلميحه للأمريكان بطريقة ذكية تدعو القارئ إلى بقايا أمل في تحول واشنطن من حال اللامبالاة إلى المبالاة!، ثم يضع يده على الجرح قائلاً: (**وننجرف مع من أشعل الشرارة في مخزن بارود، وهو عالم بتبعات تلك الشرارة، ولكن ذلك لا يهمه، فلتذهب غزة إلى الجحيم، بل ليذهب كل العالم إلى الجحيم، طالما بقيت حماس وبقيت «مقاومتها»**).

وكما مارس بعض الكتاب الذين شملتهم عينة الدراسة بعض التبرير، مارسوا أيضاً التهويل في صور شتى، تبعهم مشاري الذايدي[2] عن أهل غزة وواصفاً القوة الإجرامية بالوحشية للتهويل وليس للتجريم: (**هم من يتألم الإنسان حقا لمصابهم في غزة على يد آلة الجيش الإسرائيلي الوحشية**). ويضيف الذايدي متناسياً سنن الله في تثبيته

(١) الشرق الأوسط، ١٤ محرم ١٤٣٠ هـ

(٢) الشرق الأوسط، ٢ محرم ١٤٣٠ هـ

للقلة التي تحقق أسباب النصر (الصبر والتوكل) فيقول: **(حماس لا تملك القدرة على إجبار إسرائيل على شيء، فضلا عن إزالتها، فلماذا المغالطة، التي يدفع ثمنها عجائز وأطفال وأبرياء؟)**. ثم يصرح متهما المقاومة بالعمالة والمتاجرة، ومهددا بجيش إسرائيل، مع محاولة بائسة لحصر الصفات الذميمة في الجيش فقط دون الحكومة الصهيونية، فيقول: **(مرة أخرى، جيش إسرائيل همجي ووحشي ولا إنساني، لكن مَنِ الذي استدرج هذا الدب، وعن عمد، إلى الكرم الهزيل الذي لا ناطور له؟ ولماذا استدرجه بكل تقصد، رغم علمه انه لا مقارنة البتة بين مليشيا وجيش كامل العدة والعدد من أقوى جيوش العالم)**.

وفي السياق ذاته كتب يوسف أبا الخيل[1] وهو يحمل المسؤولية على المقاومة لم ينس أن يهول القوة الصهيونية: **(إذا كانت إسرائيل قد اجتاحت غزة بكل ما تملكه من آلية تدميرية متقدمة، فإن هناك، من الداخل الفلسطيني من استدرجها إلى ذلك، بوحي من أيديولوجيته، أو**

(١) الرياض، ٦ محرم ١٤٣٠ هـ

أيديولوجية من يدفعه من بعيد). ثم يعود ثانية للتهويل في بداية مقطع آخر: (**وعندما ردت الآلة الجهنمية الإسرائيلية بصب حِممها فوق رؤوس العُزَّل من أهالي غزة، تطلع الملتاعون والمسكونون بهاجس الإنسان الفلسطيني إلى استجلاء موقف قادة حماس من تلك المجزرة، وهم الذين أوقدوا نارها**).

وأخيراً يصرح يوسف أبا الخيل معبراً عن خوفه ورؤيته لإسرائيل قائلاً: (**إسرائيل قوة غاشمة تقوم فلسفة الأمن فيها على حماية مدنها وسكانها بواسطة الذراع العسكرية الثقيلة مهما كانت النتائج، المترتبة على ذلك، وخيمة وقاسية على الآخرين**).

هذه نماذج لضعف البراءة من الكافرين تمثلت في تبرير العدوان الصهيوني على أهلنا في غزة، ومنحت شيئًا من تعاطفها مع المتورطين في مواقف متخاذلة، متجاهلين الواجب الشرعي الذي يقتضي نصرة الأخ ظالماً أو مظلوماً، فلا يقبل عاقل أن يقال أن هذا التبرير نصرة للأخ الظالم ونصح له فضلاً عن أن ينصره مظلوماً.

ثانياً: إثارة النعرات القومية للتقليل من التعاطف الأخوي الإسلامي:

ظهر جلياً في أيام الكارثة العمل الجاد من قبل بعض الكتاب لتخفيف الضغط الشعبي (العربي والإسلامي) على الحكومة المصرية بشأن معبر رفح، وظهرت تبريرات كثيرة لإغلاق المعبر؛ كون ذلك يمثل عامل ضغط مهم على المقاومة أمام المشكلات الميدانية الكبيرة، التي كانت تتفاقم يوما بعد يوم، خاصة فيما يتعلق بالجرحى ونقص الأدوية والمعدات الطبية، وتجلى غياب الأخوة الإيمانية في استغلال الأوضاع المتردية داخل القطاع والضغط على المقاومة بإثارة القوميات والعصبيات الوطنية ضدها.

افتتح عبدالرحمن الراشد [١] (اليوم الثالث للحرب على غزة) هذا الباب في مقالته (معركة أبو الغيط) بالحديث عن ضرب وزير الخارجية المصري السابق في باحة المسجد الأقصى، ثم صرح قائلاً: **(واستمرت مناوشات حماس ضد المصريين تلومهم على كل شيء ولا تلوم حلفاءها**

(١) الشرق الأوسط، ١ محرم ١٤٣٠ هـ

السوريين وحزب الله ولا حتى عدوها إسرائيل). ويؤكد على جانب التميز في هذه الشخصية: **(الفارق بينه وبين سابقه أنه وقف ببسالة ضد نقد حماس لمصر. وبالأمس كشف للعالم كيف أن حماس تمنع النازفين الجرحى من العبور إلى مصر)**، وقبل أن ينهي مقالته عاد ليصرح بهدفه، ويشحن الشعب المصري ضد المقاومة، قائلاً: **(الحقيقة أن حماس لا تريد أن تتحمل مسؤولية الكارثة، فوجدت أن الهجوم على مصر خير سياسة دفاعية، في إطار معركة مستمرة منذ أشهر من قبل حلف سورية وإيران ضد مصر)**.

ويقول مشاري الذايدي في مقالة وجهها إلى الرأي العام المصري بعنوان (موسم الهجوم على مصر)[1]: **(في غزة، كل قطرة دم غالية، وكل دمعة ألم عزيزة ومؤثرة على قلب أي إنسان سوي، لكن نسأل هنا كيف ولماذا جرى ما جرى؟ ولماذا أصبحت مصر في الدعاية الحربية لعرب إيران ومحورها هي «أم الشرور» وليست أم الدنيا؟ وكأنها هي التي تقصف غزة وليست إسرائيل؟)**. ويستمر الذايدي

(١) الشرق الأوسط، ٢ محرم ١٤٣٠ هـ

في ضرب العلاقة بين الشعبين المسلمين في مصر وغزة حين يقول: (**يبدو أن الهجوم الحالي على مصر يعد منذ فترة ليست بالقليلة، ففي منتصف هذا العام ٢٠٠٨، اندلعت أزمة سياسية بين مصر وإيران على خلفية فيلم دعائي ضد مصر بعنوان «إعدام الفرعون» عن الرئيس الراحل أنور السادات، لكن تم تطويق الأمر حينها، ثم سعت حماس وبتشجيع سوري إيراني إلى إفشال مساعي الحوار الفلسطيني مع فتح برعاية مصر. وسجل ذلك الوزير أبو الغيط على من سماهم أدوات فلسطينية بيد إيـران**)، ثم يستدعي مجموعة من الشواهد في مغالطة صارخة للحقائق الميدانية: (**حماس جربت ابتزاز مصر أكثر من مرة، تارة عبر الإحراج من خلال أزمة حجاجها وحجاج فتح في موسم الحج الأخير، وتارة عبر التذرع بالحالات الإنسانية. ومصر بدورها كانت متوازنة في ذلك أو في الأقل تحاول ذلك من خلال التوفيق بين سياستها تجاه حماس، وواجبها في مساعدة سكان غزة العاديين**).

أظهر التحليل الدلالي للنصوص محل الدراسة فيما يتعلق بمتغير البعد الديني أنها تضمنت - في غالبها- ما يخالف

الثوابت الشرعية من خلال:

ضعف الإيمـانُ بقضاءِ الله وقـدرِه، بتجاهل صبر المجاهدين في سبيل الله والصابرين في أرض الرباط من عامة الفلسطينيين، المقارنة بين طرفي الصراع من خلال القوة المادية والعسكرية، وتجاهل معية الله لعباده المؤمنين، الجهل بسنن الله، وحقيقة الانتصار، والمتاجرة مع الله، والجهل بحقيقة الصراع مع اليهود، وموعود الله بالنصر عليهم، والتعلق بالحراك السياسي والمنظمات الدولية والدول الغربية. وبالتالي فقد ابتعدت في تأويلها وتفسيرها للأحداث عن هدي الله، لأنها تناست أو نُسيت قول الحق: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ اللّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدُيرٌ ﴾ (الأنعام:١٧)، وهو في مجمله شكل من أشكال ضعف الإيمان بقضاء الله وقدره.

ضعف الأخـوة الإيمـانيـة والـولاء للمؤمنين بالدعوة الصريحة للتخلي عن المجاهدين في سبيل الله دفاعاً عن دينهم ومقدساتهم ووطنهم، والعمل على تقويض الجبهة الداخلية للقطاع، ونزع ثقة المواطنين في قيادات المقاومة، ومحاولة تشويه صورة المجاهدين ونسبهم إلى مشروعات

دينية وسياسية مرفوضة في المنطقة للتخفيف من التأييد للمجاهدين، فهذه مغالطات عقلية قبل أن تكون مغالطات دينية نتيجة ضعف الأخوة الإيمانية والرغبة -ربما- في تحقيق مآرب أخرى، أو تبرير التخاذل الذي حدث من بعض المسلمين.

ضعف عقيدة البراءة من الكافرين ومظاهرتهم على المسلمين، بتبرير العدوان الصهيوني على غزة واعتباره رد فعل على أفعال المقاومة، إثارة النعرات القومية للتقليل من التعاطف الأخوي الإسلامي، وهي نماذج لضعف البراءة من الكافرين تجسدت في استدعاء أسباب العداوات للمقاومين، وزرع الشقاق بين المسلمين، لتخفيف حدة النصرة لإخواننا في غزة.

الفصل الثاني

اتجاهات الكتاب نحو نظم المملكة العربية السعودية ومواقفها المعلنة تجاه القضية الفلسطينية

تمهيد

المبحث الأول: اتجاهات الكتاب نحو نظم المملكة العربية السعودية

المبحث الثاني: اتجاهات الكتاب نحو المواقف الرسمية المعلنة للمملكة تجاه القضية الفلسطينية

تمهيد:

الكلمة السامية، هي رسالة الصحافة التي تريد التأثير الإيجابي على الرأي العام وأصحاب القرار، وتجمع الأمة على موقف واحد، ورأي صائب. والصحافي الناجح هو من يجيد تقنيات الكتابة ويدرك مضامين الكلمة الجامعة المؤسسة على فهم للأحداث، ولغايات الأمة وآمالها. المبنية على أسس السياسات الإعلامية للوطن، ومراميه في التعاون والتعاضد.

في كل حدث أو موقف أو قضية طارئة يبرز فهم الصحافي لكل ما حوله، ويستحضر آمال أمته وقضاياها، ويبني رؤيته على تلك الأهداف والغايات، ويكتب فيما يعزز رسالة وطنه وأمته ويقوي موقفها تجاه القضايا الكبرى.

وتوضيحاً لمدى تمثل الكتاب المستهدفين في هذه

الدراسة لهذه القيم في كتاباتهم عن أحداث غزة يأتي هذا الجزء من الدراسة ليتناول البعد السياسي المحلي لاتجاهاتهم من جانبين رئيسين، هما:

١- مدى مخالفة آراء الكتاب لنظم المملكة العربية السعودية.

٢- مدى مخالفة آراء الكتاب للمواقف الرسمية المعلنة للمملكة تجاه القضية الفلسطينية.

المبحث الأول
اتجاهات الكتاب نحو نظم
المملكة العربية السعودية

إن سرداً للأنظمة والسياسيات التي تقوم عليها بلادنا المملكة العربية السعودية يكشف عن خلل في اتجاهات الكتاب في هذا المجال، بل إن المرء ليتأكد لديه أنهم لم يكلفوا أنفسهم قراءة بعض من هذه المواد التي هي ضرورة لكل كاتب ينتمي الى هذه البلاد المباركة. فالأمم إنما تجتمع والحضارات إنما تقوم عندما تتكامل أعمال الأفراد والمؤسسات لخدمة الفكرة التي يقوم عليها مجتمعهم.

لقد ظهر جلياً في أيام الحرب على غزة ظهور آراء وكتابات تخالف بعض مواد النظام الأساسي للحكم[١]، وبعض مواد

(١) صدر برقم أ/٩٠ وتاريخ ١٤١٢/٨/٢٧هـ

السياسة الإعلامية للمملكة [١]، ومن هذه الأنظمة والمواد:

أولاً: المادة الثانية عشرة من النظام الأساسي للحكم: (تعزيز الوحدة الوطنية واجب، وتمنع الدولة كل ما يؤدي للفرقة والفتنة والانقسام).

ثانياً: المادة الخامسة والعشرون من النظام الأساسي للحكم: (تحرِص الدولة على تحقيق آمال الأمة العربية والإسلامية في التضامن وتوحيد الكلمة، وعلى تقوية علاقاتها بالدول الصديقة).

ثالثاً: المادة التاسعة والثلاثون من النظام الأساسي للحكم: (تلتزم وسائل الإعلام والنشر وجميع وسائل التعبير بالكلمة الطيبة وبأنظمة الدولة وتسهم في تثقيف الأمة ودعم وحدتها ويحظر ما يؤدي إلى الفتنة أو الانقسام أو يمس بأمن الدولة وعلاقاتها العامة أو يسيئ إلى كرامة الإنسان وحقوقه وتبين الأنظمة كيفية ذلك).

رابعاً: تنص المادة الثامنة من نظام المطبوعات والنشر[٢]،: على أن (حرية التعبير عن الرأي مكفولة

(١) صدرت بموجب قرار مجلس الوزراء رقم ١٦٩ وتاريخ ١٤٠٢/١٠/٢٠هـ.

(٢) صدر بمرسوم ملكي رقم م/٣٢ وتاريخ ١٤٢١/٩/٣هـ.

بمختلف وسائل النشر في نطاق الأحكام الشرعية والنظامية)، وتؤكد السياسة الإعلامية السعودية في مادتها العشرين على أن: (تعمل وسائل الإعلام على توثيق أواصر الإخاء والتآزر والتضامن بين المسلمين وربط قلوب بعضهم ببعض وذلك عن طريق التعريف بالشعوب الإسلامية وأقطارها وإبراز إمكاناتها المادية والمعنوية والتبصير بما يترتب على تعاونها وتآزرها من خير يعمها جميعاً).

خامساً: جاء في المادة الحادية والعشرين ما نصه: (يدعو الإعلام السعودي إلى:

تضامن العرب وتعاونهم واجتماع كلمتهم على الحق والبعد عما يفكك أواصرهم.

الدفاع عن قضاياهم ومشكلاتهم المصيرية في مختلف المناسبات وحثهم على القيام بواجبهم في الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه حيث أكرمهم الله بذلك).

سادساً: نصت المادة الثالثة والعشرون من السياسة الإعلامية للمملكة على أن: (تعمل المؤسسات الإعلامية مع نظيراتها في العالم الإسلامي عامة والعربي منه خاصة على تبني منهج إعلامي موحد يخدم مصالح المسلمين الدينية

والدنيوية ويمثل وحدتهم الفكرية والحضارية ويؤلف بين قلوبهم).

سابعاً: المادة الخامسة والعشرون من السياسة الإعلامية للمملكة تؤكد على أن: (يعتمد الإعلام السعودي على الموضوعية في عرض الحقائق والبعد عن المبالغات والمهاترات، ويقدر بعمق شرف الكلمة ووجوب صيانتها من العبث ويرتفع عن كل ما من شأنه أن يثير الضغائن ويوقظ الفتن والأحقاد).

ثامناً: وتؤكد المادة السابعة والعشرون من السياسة الإعلامية للمملكة على أن (يتجه الإعلام في صلاته الخارجية وجهة إنسانية تقوم على احترام الإنسان بأن يعيش في حرية على أرضه ويستنكر كل اعتداء من أي نوع يقع على حقوق الشعوب والأفراد ومكافحة الأطماع التوسعية، والوقوف بجانب الحق والعدل والسلام، ومناهضة الظلم والتفرقة العنصرية).

وإن القارئ المتأمل لمنطوقات هذه الأنظمة ليتبين له ضرورة دعم وحدة الأمة والوقوف معها، وتثقيف الناس بأهمية التضامن والتآزر بين أبنائها، وإبراز أهمية المكانة

المادية والمعنوية للأمة، والدعوة إلى تضامن العرب واجتماع كلمتهم والدفاع عن قضاياهم المصيرية، وتبني منهج إعلامي يخدم مصالح المسلمين الدينية والدستورية، ويمثل وحدتهم الفكرية والحضارية، والحرص على الموضوعية في عرض الحقائق والبعد عن المبالغات والمهاترات، وتقدير شرف الكلمة ووجوب صيانتها من العبث، وأن يتجه نحو احترام الإنسان في أن يعيش في حرية على أرضه، وأن يدين كل اعتداء من أي نوع يقع على حقوق الشعوب والأفراد ومكافحة الأطماع التوسعية، والوقوف بجانب الحق والعدل والسلام ومناهضة الظلم والتفرقة العنصرية.

لكن عدداً من الكتاب الذين شملتهم الدراسة التحليلية يظهرون بمواقف مخالفة لما قامت عليه هذه البلاد. لقد تبين أن منهم من استغل الظروف التي تمر بها الأمة العربية والإسلامية لزعزعة الموقف الموحد للأمة السعودية تجاه قضية فلسطين.

فهذا فارس بن حزام[1] يحاول بث الفرقة بين السعوديين وإخوانهم المنكوبين في غزة، قائلاً: (**والحال مثلها في**

(١) صحيفة الرياض، ٢ محرم ١٤٣٠ هـ

غزة عند حماس وأنصارها. إذ لم تتردد حماس عبر الناطق الرسمي باسمها في تجهيل المساعدات السعودية كافة، بعد حفلة من الردح في التخوين، أشعلها في مؤتمره الصحافي). ثم يدعو إلى تبني موقف غير الذي تبنته حكومة المملكة العربية السعودية وشعبها، قائلاً: (**هذه التبرعات الحكومية والشعبية لم تمنحا البلاد جمهوراً وفياً كافياً لمن يعطي المال من جيبه. ومازلنا نتذكر طوال الثمانينيات حين كانت الريالات تقتطع من تذاكر المباريات الرياضية والمخصصات الدراسية لصالح القضية العربية الكبرى، ما الذي تغير؟ لا شيء، سوى المزيد من التخوين والشتائم**).

وفي السياق ذاته يستهدف حمزة المزيني[1] مخالفة موقف المجتمع السعودي وحكومته من الصهاينة واليهود عموماً، يقول: (**ومن أمثلة هذا التعميم المذموم ما قاله أحد كبار علمائنا، مع الأسف، في إحدى صحفنا الكبرى. إذ يرى صواب سياسة هتلر فيما يخص اليهود. فيقول: (يذكر أن هتلر قال: لقد كنت قادراً على إعدام اليهود**

(١) صحيفة الوطن، ٢٥ محرم ١٤٣٠ هـ

قاطبة من جميع أوروبا وروسيا ولكني أبقيت من أبقيت منهم ليعذرني العالم على ما فعلت وليرى منهم وفيهم ما رأيت. ومعذرة العالم له مؤكدة ما قاله عن اليهود من خبث ومكر وفساد وإفساد واستعلاء على البشر).

وهذا طارق الحميد[١] ؛ يكتب مستهدفاً إثارة الحكومات العربية ضد المقاومة: (**الوقوف مع أصحاب القضية لا يعني أن نجعلهم ورقة للعب بيد حماس، ومن خلفها. على العرب أن يسموا الأشياء بأسمائها طالما أن حماس ومن يقف خلفها لا يترددون في توجيه التهم والتخوين للعالم العربي. دعوهم يتحملون مسؤوليتهم ولو مرة واحدة**). هذا الرأي المنشور من الحميد مخالف لما نص عليه النظام الأساسي للحكم والذي ينطلق في هذا الشأن من قيم الإسلام العظيمة (انصر أخاك ظالما أو مظلوما) فكيف للحميد أن يطالب بعدم النصرة والتنازل عن آمال أمتنا العربية والإسلامية.

أما عبدالرحمن الراشد[٢] فسعى إلى إضعاف المواقف

(١) صحيفة الشرق الأوسط، ٢٩ ذي الحجة ١٤٢٩هـ
(٢) صحيفة الشرق الأوسط ١ محرم ١٤٣٠ هـ

المؤيدة والمساندة للقضية الفلسطينية، حيث يقول: (**حماس تريد معركة تحرج الدول العربية لتتحرك لصالحها، وتريد أن تفرض نفسها قوة سياسية رغما على السلطة الفلسطينية، بدعوى مواجهة العدو، ولا يهمها كم فلسطينيا يقتل في معركة الفيل والنملة**)؛ فهل يعقل أن يكون صبر الفلسطينيين على الحصار والقتل والتدمير لإحراج الدول العربية ؟!

ويعود طارق الحميد من جديد في مقاله (نجاد.. انظروا من يتحدث!)[1] لإضعاف التأييد السعودي والعربي للمقاومة الفلسطينية، حيث يقول: (**انطلقت المرحلة الثانية من حملة المدفعية الكلامية لتجار دماء غزة بعد أن اتضح أن المصريين نجحوا في الاقتراب من الوصول إلى اتفاق بين إسرائيل وحماس، وذلك تكاملاً مع الجهد العربي الذي كان رأس الحربة فيه الأمير سعود الفيصل في مجلس الأمن، حيث نتج عن ذلك الاجتماع قرار وقف إطلاق النار وباتت المبادرة المصرية هي الآلية لذلك، وكل ذلك تم بجهد سعودي – مصري، لا بفعل المدفعية**

(١) الشرق الأوسط ١٩ محرم ١٤٣٠هـ

الكلامية الإيرانية، ومن حالفها)، إن مشكلة الحميد كما ظهر في رأيه هي رفضه للمقاومة، لكن الدماء ثمن طاهر للأوطان، وكم من تضحيات ودماء سالت فداء للوطن؛ فهل يعيب أن يجود الإنسان بنفسه في سبيل اللّه دفاعاً عن وطنه؟ وكل حرب مهما طال أمدها لها ثمن سياسي مكتسب، فغاية الجهاد هي نشر الدين، وتحرير الأوطان، وبسط الأمن، وإقامة الشرع والتمكين للإنسان بعمارة الأرض، وهذا بحق ما تدركه المملكة العربية السعودية، وهو الهدف الذي أكدته كلمة خادم الحرمين الشريفين في قمة الكويت كما سيرد في الجانب الثاني من هذا الفصل.

إن كل قيادات المقاومة كانت مقدرة للدور المصري والسعودي، وتصريحات قادتهم تقول بذلك، وتقديرهم لمعاهدة مكة المكرمة معروفة ومسجلة فلماذا نشر مثل هذا الرأي إذن ؟ ولماذا المقارنة بين موقف حزب اللّه وحماس؟ فحزب اللّه داخل دولة مستقلة لها حدودها ولها موقعها المعترف به دولياً، أما حماس فمنظمة شرعية باختيار الشعب الفلسطيني نفسه داخل دولة محتلة في الأصل؟!

ويواصل طارق الحميد في مقالته: (نجاد.. انظروا من

يتحدث!) توظيف مواقف الرئيس الإيراني للإيقاع بين المملكة والمقاومة الفلسطينية بهدف تخفيف التأييد الحكومي والشعبي لقضية فلسطين، يقول: (**نجاد لم يكتف بذلك بل نشر على موقعه الالكتروني الشخصي رسالته للعاهل السعودي، حيث خاطب الملك عبد الله بالقول «أتوقع منكم أن تكسروا الصمت عن هذه الفظاعات الفاضحة وعن قتل أطفالكم»**). وهنا يتبدى السؤال الجوهري:

مَنْ يتحدث لِمَنْ، وعن ماذا ؟!

ثم يتبنى الحميد الدفاع عن خادم الحرمين الشريفين ومواقفه، وهذا حسن ومطلب شرعي ووطني، لكنه يُظهر هجوماً على المقاومة ويحملها مسؤولية ما يجري للإيقاع بينها وبين السعوديين حيث يقول: (**عبد الله بن عبد العزيز هو من جمعَ الفلسطينيين في مكة، وإيران وأعوانها هم من دفعوا حماس لنقض الاتفاق والانقلاب في غزة. وعبد الله بن عبد العزيز هو من قال للفلسطينيين في مكة «لا تضيعوا أنفسكم وتضيعونا». نجاد وأعوانه هم من ضيعوا الفلسطينيين وشقوا صفهم وأوصلوهم إلى هذه الشرذمة،**

وهم من يتحملون دماء الأبرياء في غزة. والعاهل السعودي هو من هدد بقطع علاقة بلاده بأميركا إبان الانتفاضة الفلسطينية عام ٢٠٠٠ بسبب القضية الفلسطينية).

ويستمر الحميد في توظيف موقفه من نجاد لإضعاف موقف المملكة مستقبلا تجاه قضية فلسطين، قائلا: **(وعبد الله بن عبد العزيز هو من رأينا وزير خارجيته سعود الفيصل يقول للمجتمع الدولي لا تدعونا ندير ظهورنا إليكم، بينما خرج نجاد يوم أمس، وفي ثنايا إساءته للعالم العربي، يغازل أوباما، ويقول عن مرحلته القادمة «لدينا ما يكفي من الوقت والصبر وسوف ننتظر لنرى». ألم نقل لكم إنهم تجار دماء غزة؟).**

لقد جاءت كتابات متعددة مخالفة لهذه المواد الرئيسة في النظام الأساسي للحكم، فهذا حماد السالمي[١] يربط بين موقف إسرائيل وحركة حماس من مبادرة السلام العربية في مقالته: (وقف (الحماس) على حماس ؟!!)، (بغية إثارة الكراهية من موقف المقاومة والصمود ضد الانتهازية الصهيونية بوصف حركة حماس تمثل المقاومة المشروعة

(١) صحيفة الجزيرة، ١٤ محرم ١٤٣٠هـ

للاحتلال، رغم أن مبادرة السلام العربية كما يوحي مسماها لم تعد ملكاً للمملكة العربية السعودية منذ تبناها مؤتمر القمة العربية في بيروت. وقد أكد خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن العزيز في مؤتمر الكويت أن هذه المبادرة ليست موضوعة دائماً على الطاولة، وهذا موقف كريم يرد على مثل هذه الاتجاهات الصحفية في الرأي.

كما مارس بعض الكتاب تأليب الموقف السياسي السعودي تجاه المقاومة بالإشارة صراحة أو ضمناً إلى التنقص من الصمود والمقاومة بمهاجمة حماس والجهاد الإسلامي. ومن ذلك ما كتبه عبد الرحمن الراشد في مقالته (حماس.. وأزمة تعدد القيادة)[١]، مستخدماً لغة الفوقية،وموجهاً النصح وتقديم دروس في التربية، وكأن المقاومة بعناصرها تحتاج إلى ذلك الدرس الوظيفي في العقلانية، حيث يقول: (**والآن طرأ الهجوم على وزير الخارجية السعودي والأمين العام للجامعة العربية لأنهما قادا الحركة في مجلس الأمن حتى صدر قرار دولي يأمر بوقف إطلاق النار، وبدل شكرهما والفريق العربي جاء الرد من (دمشق يهاجمهم) لأنهم**

(١) الشرق الأوسط، ١٤ محرم ١٤٣٠هـ

وقفوا مع أهلهم في غزة مستنكرين أن أحداً لم يكلفهم بذلك. من دون اعتبار لحياة أهالي غزة). ثم يمارس الراشد التفريق على طريقته، فيتحدث باسم السعوديين وأنهم تحملوا عبث الفلسطينيين كثيراً، والحمساويين أيضاً، قائلاً: **(ولا شك عندي على الإطلاق أن الهجوم على السعودية سيفقد حماس أي تأييد لها بعد أن تحمل السعوديون كثيراً العبث السياسي الصادر من بعض قياداتها ذات الارتباطات الخارجية وتعمدوا تجنب الجدل معهم).** التباكي على أهل غزة الذي يمارسه الراشد وكأن المقاومة هي التي فرضت الحرب بأسلحتها الأمريكية الصنع وطائراتها إف ١٦ إنما يمارسه ليضعف الموقف السعودي من قضايا الأمة، حيث يحاول وصم كل مخالف له بأنه صاحب ارتباطات بالخارج.

وقد ردد الراشد في مقالته هذه عبارة (وكأن أحداً لم يكلفهم بذلك)، وكأن الدفاع عن الأرض والعرض ضد الغاصب والمحتل يحتاج إذناً من أحد، وهو أول المدركين أن محاربة المحتل مقررة في القوانين الدولية، ومبدأ توافقت عليه الأمم والحضارات السامية الرفيعة.

ورغم مناوئتنا للمواقف الإيرانية المتطرفة دينياً وسياسياً

إلا أن إدامة العلاقات الطيبة مع كل دولة هو أساس في نجاح الصمود، واستغلال كراهية الناس لمواقف بعض الدول لا يعني تأجيج العواطف تجاهها،كما يقول يوسف أبا الخيل[١] في مقالته: (الهولوكست الإسرائيلي تعدد الجلادون والضحية واحدة). وقد سبقه إلى هذا التوجه مشاري الذايدي[٢] حيث قال: (**رؤية إيران ومعها جماعات الإخوان، التي تقود الآن حملة التحريض في الشارع العربي، ورحب مرشدها العام في مصر بالغزو الإيراني الثوري، في مواجهة مصر، تقوم على بعض التصورات الصحيحة للشارع العربي، فهم يعتقدون أنه من السهل استثارة طاقة الغضب لدى المواطن العربي من خلال إحراج مصر والسعودية والأردن...**). وهكذا يدعي الذايدي أن هناك حملة تحريض ضد المملكة، وربما كان ذلك صحيحاً، لكن هل لدى الذايدي ما يثبت أن الفلسطينيين قد حرضوا ضد المملكة؟!

(١) صحيفة الرياض، ٦ محرم ١٤٣٠هـ
(٢) صحيفة الشرق الأوسط، ٢ محرم ١٤٣٠هـ

المبحث الثاني
اتجاهات الكتاب نحو المواقف الرسمية المعلنة للمملكة تجاه القضية الفلسطينية

جاءت أحداث غزة وحربها وما صاحبها من تراشق إعلامي لتجلي بعض المواقف المسبقة الرؤية مما جرى في هذه الحرب؛ كان من أبرزها ما تفتق من رؤى لبعض الكتاب السعوديين تستصحب الكراهية ضد المقاومة، وإظهارها بالمناوئ لوحدة الأمة ولسياستها العامة، فضلاً عن تناول جزئيات وتفكيك لعناصر المقاومة بغية إثارة الضغائن وتأجيج النفوس على توجه المقاومة لإسرائيل مهما كان من أمر. حدث ذلك من الكتّاب رغم الموقف الجلي والواضح للمملكة العربية السعودية في

خطاب خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز في مؤتمر الكويت «قمة التضامن مع الشعب الفلسطيني في غزة»[١] والذي أدان بكل وضوح ما جرى في غزة على يد إسرائيل، وكان مما قاله خادم الحرمين الشريفين وفقه الله: (... وقد شاهدنا في الأيام الماضية مناظر بشعة ودامية ومؤلمة ومجازر جماعية تنفذ تحت سمع العالم وبصره على يد عصابة إجرامية لا مكان في قلوبها للرحمة ولا تنطوي ضلوعها على ذرة من الإنسانية..... لقد نسي القتلة ومن يناصرهم أن التوراة قالت.. إن العين بالعين.. ولم تقل التوراة.. إن العين بمدينة كاملة من العيون.... إننا نحيي شهداء غزة ونحيي أبطالها وصمودها ونحيي كل من بذل جهده وفكره لوقف النزيف...).

أما بيانات مجلس الوزراء فقد جاء فيها:

- (أكدت المملكة أنها ستكون في مقدمة أي عمل عربي أو إسلامي مشترك للتعامل مع أزمة العدوان الإسرائيلي الهمجي على قطاع غزة. كما أكدت أنها ثابتة - بإذن الله

(١) يوم الاثنين٢٢ محرم ١٤٣٠هـ الموافق ١٩ يناير٢٠٠٩م

- على مبادئها وسياساتها وأفعالها التي أسس لها الملك المؤسس عبد العزيز آل سعود - طيّب اللّه ثراه - في مناصرة ودعم ونجدة الأشقاء في فلسطين شعبياً ورسمياً وبكل ما تملكه من إمكانات).

- وندد مجلس الوزراء في جلسته التي عقدها يوم الاثنين ٨ محرم ١٤٣٠هـ الموافق ٥ يناير٢٠٠٩م برئاسة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد اللّه بن عبد العزيز بصمت وتخاذل الموقف الدولي في تعامله مع هذا العدوان السافر على نحو لا مثيل له في التعامل مع الأزمات الدولية. وقال: (إن الحرب الإسرائيلية الشرسة على غزة وسياسة العقوبات الجماعية وهجومها على العزل والمساكين والمساجد والمزارع تتنافى مع جميع المبادئ الإنسانية ولا تقيم وزناً لا للشرعية الدولية ولا لقوانين الحرب أمام شعب محاصر أعزل لا يملك سوى إيمانه باللّه ثم بإرادته الصلبة).

- وأكّد مجلس الوزراء في جلسته التي عقدها يوم الاثنين ١٥ محرم ١٤٣٠هـ الموافق ١٢يناير٢٠٠٩م برئاسة خادم الحرمين الشريفين الملك عبد اللّه بن

عبد العزيز (وقوف المملكة مع الإخوة الفلسطينيين في الذود عن كيانهم والمطالبة بحقوقهم، مشدداً على أن حرب الإبادة في غزة تجرد القادة الإسرائيليين من إنسانيتهم وتضع سياساتهم في مصاف سياسات الإبادة العنصرية).

- وأكد مجلس الوزراء في جلسته التي عقدها يوم الاثنين ٧ صفر ١٤٣٠هـ الموافق ٢ فبراير٢٠٠٩م على دعوة (الأشقاء الفلسطينيين إلى الأخذ بمشروع المقاومة التي تحقق لشعب فلسطين وحدته وترسخ مؤسساته الشرعية وتحمي حياة وممتلكات أبنائه من التدمير والكوارث).

ومما يسترعي الانتباه في خطاب الملك حفظه اللّه وبيانات مجلس الوزراء ما يلي:

أولاً: سمى الملك القتل في غزة (مجازر جماعية) تنفذ تحت سمع العالم وبصره، من قبل عصابة إجرامية ليس في قلوبهم شيء من إنسانية.

ثانياً: قال الملك - حفظه اللّه - إن مبادرة السلام العربية المطروحة على الطاولة اليوم لن تبقى على الطاولة إلى الأبد.

ثالثاً: حيا خادم الحرمين الشريفين شهداء غزة وأبطالها.

رابعاً: وصف قتلى غزة بأنهم شهداء أطفالاً ونساءً وشيوخاً.

خامساً: أطلق الملك مبادرة لجمع الكلمة مترفعاً عن كل خلاف، وفاتحاً الباب أمام الزعماء العرب ليبدؤوا صفحة جديدة.

سادساً: أطلق الملك - حفظه الله- مبادرة كبرى بتقديم المملكة (ألف مليون دولار) لإعادة إعمار غزة.

سابعاً: عنوان المؤتمر هو التضامن مع الشعب الفلسطيني في غزة.

ثامناً: أبان مجلس الوزراء في جلساته أن المعركة الصهيونية على غزة هي عقوبات جماعية، وهجومها على العزل يتنافى مع المبادئ الإنسانية.

تاسعاً: أكد مجلس الوزراء على وقوف المملكة مع الأخوة الفلسطينيين في الذود عن كيانهم والمطالبة بحقوقهم.

عاشراً: دعوة مجلس الوزراء الأشقاء الفلسطينيين إلى الأخذ بمشروع المقاومة التي تحقق لشعب فلسطين وحدته

وترسخ مؤسساته الشرعية وتحمي حياة أبنائه وممتلكاتهم من التدمير والكوارث.

لكن وعلى الرغم من وضوح الموقف الرسمي للمملكة من أول يوم من أيام العدوان الصهيوني إلا أن بعض الكتاب تبنى موقفاً مغايراً للموقف الرسمي، خاصة فيما يتعلق بحق الشعب الفلسطيني في مقاومة المحتل وفرض حقوقه على أجندة عملية السلام، وحقه في رفع الحصار والعيش بحرية وكرامة.

فهذا فارس بن حزام اتهم العقل السعودي بغيابه عن حقيقة أحداث غزة، في مقالته: (تبدل الموقف الشعبي من عدوان غزة)[1]، حيث قال: **(وطوال فترة ليست بالقصيرة واظب العقل السعودي على الانشغال بقضايا الآخرين، ولكن يبدو أن حراكاً داخلياً واسعاً بدأ أخيراً في منح الشأن الداخلي أولوية عن مشاكل العالم العربي. ويمكن الاستدلال على ذلك وفق الرصد المحلي، حتى وإن امتلأت الصحف والشاشات بما يجري في غزة، فحملة تبرعات المواطنين، من**

(١) صحيفة الرياض ١٦ محرم ١٤٣٠هـ

دون ما قدمه ولاة الأمر، سجلت رقماً ملفتاً؛ فبعد ما كانت الحصيلة في العام ٢٠٠٠م نحو ٤٣٦ مليون ريال، انتهت في الحملة الأخيرة قبل أيام إلى ٧٩ مليون ريال، أي بانخفاض تجاوز الثمانين بالمائة، رغم النمو السكاني الذي فاق العشرين بالمائة بين هاتين الحملتين). ويعود الكاتب نفسه في مقالة أخرى عنوانها (وإذا تبرعنا فهل ستشكرون؟)[(١)] فيقول: (إلى جانب التقدير والامتنان الرسميين للأسف لم ننل من حفلات التبرع المتواصلة طوال العقود الماضية إلا مزيداً من الشتائم.... والحال مثلها في غزة عند حماس وأنصارها. إذا لم تتردد حماس عبر الناطق الرسمي باسمها في تجهيل المساعدات السعودية كافة، بعد حفلة من الردح في التخوين، أشعلها في مؤتمره الصحافي..واليوم، ونحن على صدى تبرعات جديدة لفلسطين، نفكر ونسأل، ويخرج السؤال من الحلق إلى الحلق بعد طول صمت: هل تجد السعودية التقدير الشعبي العام بعد ذلك كله). هذا الرصد الذي قام به

(١) صحيفة الرياض ٢ محرم ١٤٣٠هـ

الكاتب نفسه مثال لهؤلاء الكتبة الذين يستبقون الأحداث، ويؤسسون على ظنونهم جبالاً من خيبات الأمل. فحجم التبرعات جاوز (٢٣٠) مليوناً رغم الظروف المالية الصعبة للمواطن والأزمة الاقتصادية الطاحنة التي يمر بها العالم كله وأراد الكاتب تجاهلها. ونبرة التخذيل قد تبدت في مقاله بسبب عدم التقدير في مقاله الذي سبق به حملة التبرعات (وإذا تبرعنا فهل ستشكرون ؟). ثم الأهم أن القيادة السعودية تبرعت لإعمار غزة بمبلغ مليار دولار، رغم معرفة القيادة بالظروف السياسية والاقتصادية الدولية، لكنها تحملت مسؤوليتها الكبيرة تجاه مبادئها ومثلها في دعم التضامن العربي ومساعدة الأشقاء رغم التقلبات والاختلافات السياسية، لكن قيم المملكة وثوابتها أكبر من كل ذلك. وهل بعد ذلك يمكن أن يأتي كاتب مثل مشاري الذايدي في مقالته (موسم الهجوم على مصر)[١] فيحاول أن يشبه موقف المملكة من حرب تموز على حزب الله الشيعي بموقفها من العدوان الصهيوني على غزة ؟ ألم يقل الذايدي

(١) صحيفة الشرق الأوسط ٢ محرم ١٤٣٠هـ

في مقاله المشار إليه آنفاً: (**إذا تذكرتم، ففي حرب يوليو تموز ٢٠٠٦ بين حزب الله وإسرائيل، بعد مغامرة الحزب الإلهي بخطف جنديين إسرائيليين، الأمر الذي استدعى، كالعادة، رداً وحشياً من إسرائيل، دمر على إثره الجنوب اللبناني وسويت الضاحية بالأرض، وشرد مئات الآلاف وقتل الكثيرون، وانقسم المجتمع اللبناني على حزب الله بشكل واضح وعميق...حينها وصفت السعودية صنيعَ حزبِ اللهِ بالمغامرة غير المحسوبة، وهو وصف صحيح، لأن زعيم الحزب الإلهي نفسه، خرج لاحقاً، وهو يتكلم بنبرة هادئة بعيداً عن الإرعاد والإزباد المعتاد منه، ليقول إنه لو كان يعلم ما سيجري لمَا أقدم على تلك المغامرة، حينها انطلقت نفس الآلة الإعلامية التي تشتغل الآن... انطلقت ضد السعودية واصفة إياها بأبشع الأوصاف، ناعتة إياها بالخيانة والعمالة...**) هل يدافع الذايدي هنا عن المملكة أم أنه يتجاهل مواقفها المعلنة ليضعها في صف غير المكترث بما يجري في غزة؟ ولماذا لا يتحدث الكاتب عن المواقف المعلنة إن كان يريد الدفاع عن

المملكة؟.. ولماذا يتجاهل موقفها وكأنها لم تقل شيئا؟! ثم يقول متهماً المملكة بأنها من صنّف حماس ضمن الجماعات التابعة لإيران: (**مصر الدولة أدركت اللعبة، وهي التي كان بعض نخبها ومثقفيها يعتقدون سابقاً أن السعوديين يبالغون في رؤية الخطر الإيراني**). لكن ما علاقة ذلك بمقاومة الشعب الفلسطيني؟ يجيب الذايدي: (**مصر ترفض الاعتراف بسلطة الأمر الواقع لحماس في غزة، لأنها تعتبر حماس امتداداً لإيران وعمقا للإخوان لديها**).

أظهر التحليل الدلالي للنصوص محل الدراسة فيما يتعلق بمتغير البعد السياسي المحلي أنها تضمنت - في غالبها- مخالفة آراء الكتاب لنظم المملكة العربية السعودية من خلال:

١- ظهور آراء وكتابات تخالف بعض مواد النظام الأساسي للحكم، وبعض مواد السياسة الإعلامية للمملكة باستغلال الظروف التي تمر بها الأمة العربية والإسلامية لزعزعة الموقف الموحد للأمة السعودية تجاه قضية فلسطين، ومخالفة

موقف المجتمع السعودي وحكومته من الصهاينة واليهود عموماً، إثارة الحكومات العربية ضد المقاومة، وإضعاف المواقف المؤيدة والمساندة للقضية الفلسطينية، وتوظيف مواقف الرئيس الإيراني للإيقاع بين المملكة والمقاومة الفلسطينية، وتأليب الموقف السياسي السعودي تجاه المقاومة بالإشارة صراحة أو ضمناً إلى التنقص من الصمود والمقاومة بمهاجمة حماس والجهاد الإسلامي، وهي طروحات تخالف صراحة مقتضيات مواد صريحة في نظام الحكم والسياسة الإعلامية للمملكة العربية السعودية.

٢- تبني موقفاً مغايراً للمواقف الرسمية المعلنة للمملكة تجاه القضية الفلسطينية، خاصة فيما يتعلق بحق الشعب الفلسطيني في مقاومة المحتل وفرض حقوقه على أجندة عملية السلام، وحقه في رفع الحصار والعيش بحرية وكرامة، باتهام العقل السعودي بغيابه عن حقيقة أحداث غزة، ونبرة التخذيل بسبب عدم التقدير من قبل الشعب

الفلسطيني لمساندة الشعب السعودي قيادة وشعباً لهم، وهي بالتالي تمثل إضعافاً للموقف السعودي الحكومي والشعبي تجاه إخوانهم الفلسطينيين، وتتجاهل مواقف المملكة التي جعلتها تتولى زمام قيادة الأمة لما تملكه من مقومات القيادة والعطاء.

الفصل الثالث

ملامح التوافق الجمعي والتناقض الذاتي لدى الكتاب

تمهيد

المبحث الأول: توافق الكتّاب في مواقفهم قبل الحرب وبعدها

المبحث الثاني: التناقض الذاتي لدى الكتاب

تمهيد:

للغة – أي لغة- قدرة فائقة على الإفصاح عن الاتجاه الفكري والإيديولوجي لمن يستخدمها، ولا تستطيع إدعاءات الموضوعية والعقلانية أن تخفيها أو تحد منها. يستوي في الخضوع لسطوة هذه القوة كل الكتاب مهما اختلفت اتجاهاتهم. وفي هذا يذكر عبدالسلام المسدي أن كلام الإنسان في نظر علماء اللغة يشي بالموقع الذي يتخذه صاحبه من مضمون الدلالات الواردة فيه، فالكلام يحمل صاحبه مسؤولية محددة حتى ولو ظن نفسه مجرد واصف أو ناقل، ولهذا فإن هامش الموضوعية في استعمال الإنسان للغة هامش محدود جدا ويكاد ينعدم أحيانا. ورغم خطورة هذا البعد، فإن الناس يتفاوتون في مدى وعيهم

به، ولهذا فإن استغلال المتكلم لهذا البعد عند تأكده من غفلة الآخرين عنه هو الذي يحول اللغة إلى سلاح فتاك على ساحة المناورة بالكلام.[١]

إذا كان هذا التأكيد لدور اللغة في الإفصاح عن اتجاهات مستخدميها يجري على من يحاول أن يحصر مهمته في وصف الأحداث ونقل الأخبار، فإن دورها يكون أشد تأكيداً حين يستخدم الناس اللغة لتحليل الأخبار وتفسير مجريات الأحداث. وهذا ما يجعل الاتهام المتبادل بالتحيز وعدم الموضوعية دائم الحضور في ساحات السجالات الدينية والفكرية والسياسية. ولو أن الكتاب اعترفوا بتحيزاتهم لمعتقداتهم الدينية واتجاهاتهم الفكرية والإيديولوجية، وأقروا بأنهم يعتمدونها كمنهج للسجال مع الآخر، لو فعلوا ذلك لانقشع الضباب الذي يغلف هذا النوع من المناظرات ويفشلها.

ومع هذا قد يبدو تقارب مواقف بعض الكتاب الذين نتناول تحليل نتاجهم الصحفي في هذه الدراسة أمراً طبيعياً

(١) عبدالسلام المسدي. السياسة وسلطة اللغة. القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٧، ص ص ١٦٩-١٧٠ بتصرف.

حيال بعض القضايا، لكن أن تتفق معالجاتهم للقضايا التفصيلية ولغتهم ومصطلحاتهم إلى حد التطابق فهذه ظاهرة تستحق الدراسة. ويرى طارق الحميد»[1]وهو أحد الكتاب الذين شملتهم الدراسة، أن التوافق في «البيانات» بين أطراف متعددة يدل على «خيوط تنسيق واضحة، وهذه فرضية متينة يمكن الاستناد عليها لاختبار مدى وجود خيوط تنسيق واضحة بين هؤلاء الكتاب استناداً إلى وجود توافق في «المقالات» التي كتبوها حول العدوان الإسرائيلي على غزة.

(١) الشرق الأوسط، ٢٩ ذو الحجة ١٤٢٩ هـ

المبحث الأول
توافق الكتّاب في مواقفهم قبل الحرب وبعدها

أولاً: موقف الكتاب من حماس والمقاومة قبل الحرب على غزة.

هذه الدراسة معنية بمدة زمنية محددة تبدأ من يوم العدوان الصهيوني على غزة، لكن لا بد من الإشارة إلى أن مواقف هؤلاء الكتاب من الأحداث التي جرت على الساحة الفلسطينية منذ دخول حماس العملية السياسية، كانت أيضا متقاربة. وقد ظهر هذا التقارب في معظم المقالات التي نشرت لهؤلاء الكتاب خلال الأشهر الستة التي سبقت العدوان والتي تناول القضايا الفلسطينية الخلافات الفلسطينية، وحصار غزة وعمليات إطلاق الصواريخ،

وغيرها. كما تظهر تلك المقالات أن موقف كتابها من حركة حماس مستند إلى رؤيتهم للحركات والاتجاهات الإسلامية بشكل عام. وهو كما تظهره مقالاتهم بوضوح موقف سلبي رافض، كما أنه موقف صريح وثابت، حرص كل منهم على طرحه وتأكيده وتبريده عبر مقالاتهم ومشاركاتهم الإعلامية الأخرى.

وقد كانت معالجاتهم للخلاف الفلسطيني وتحليلاتهم للأحداث تستند دائما إلى هذا المنظور، فنظروا إلى حركة حماس فقط باعتبارها حركة إسلامية (إسلاموية كما يصفونها) مؤدلجة ومتطرفة، لأنها امتداد تآمري للحركات الإسلامية الأخرى، وخاصة حركة الأخوان المسلمين[١]، كما أنها في نظر هؤلاء الكتاب دمية تحركها إيران وسوريا.

(١) سكوت لاسينسكى Scott Lasensky الخبير في المعهد الأمريكي للسلام U.S. Institute of Peace في واشنطن، يفسر الموقف المصري من مسألة فتح الحدود والمعابر بأن «حركة حماس هي إحدى حركات الإسلام السياسي، والنظام السياسي في مصر هو نظام علماني، ومن ثم فهو لا يرغب في أن تقوى السياسات الإسلامية التي يتبعها هذا النوع من الحركات في الداخل المصري، عندما تنجح إحدى القوى الإسلامية في إقامة سلطة لها على الحدود المصرية». برنامج Morning Edition الذي يذاع على راديو NPR تحت عنوان «مصر يمكن أن تكون صانعة سلام في غزة» http://www.taqrir.org/printarticle.cfm?id=1167

يقول طارق الحميد[1]: «... **لا بد أن يتراجع خالد مشعل ورفاقه عن انقلاب غزة، والدعوة الفورية لانتخابات مبكرة، وقبل هذا وذاك ضرورة الاعتراف بشرعية منظمة التحرير الفلسطينية واتفاقاتها.**» ويقول أيضا[2]: «**هذه هي حماس، وهذا هو أسلوب قياداتها. حماس لم تف بوعد قطعته إلى الآن إلا لجهة إيران وسورية وإسرائيل. وهي لم تنتقد دمشق قط، وتسبح في فلك طهران، وتلتزم لتل أبيب بهدنة لم تأت بسلام، ولا هي حسنت أوضاع أهل غزة.**» **ويقول في المقال نفسه:** «**تريد حماس الإخوانية شراء الوقت تماشيا مع سياسة الانبطاح الإيرانية المتبعة منذ ثلاثة أشهر، وكسب بعد دولي يمنحها شرعية داخلية، وتحقق من خلاله اختراقاً دولياً**».

ويقول عبدالرحمن الراشد[3]: «**حماس انشقت على السلطة، وأخذت غزة بالقوة، وقام رجالٌ من منسوبيها برمي موظفين في فتح من أعالي البنايات، وقتل أمنُها**

(١) الشرق الأوسط، ٢٠٠٨/٥/٢٥
(٢) الشرق الأوسط، ٢٠٠٨/١١/١٠
(٣) الشرق الأوسط، ٢٠٠٧/١١/١٥

المتظاهرينَ سلماً في الشوارع، ومنعوا الناس من الصلاة في الساحات العامة، كل ذلك جرى في أقل من خمسة أشهر. فرطت حماس في النظام السياسي الذي جاء بها، وخربت العلاقة الفلسطينية الفلسطينية، فلماذا هذا التهور، وهذا العنف؟»، ويقول كذلك:[١] «كانت تلك مشاغبة متعمدة من حماس لإحراج السلطة الفلسطينية، رغم أنها أدخلتها ديوان الحكم وسلمتها رئاسة الوزراء بعد فوزها في الانتخابات، في حالة استثنائية في العالم العربي. وبدل شكر فتح انقلبت حماس وشقت الصف وطردت فتح ونصبت نفسها حاكمة غزة. كل ذلك باسم محاربة إسرائيل. الآن جاءتها التعليمات من دمشق أن توقف صواريخها، وتلتزم بعدم إيذاء الإسرائيليين، من اجل تسهيل مفاوضاتها مع الإسرائيليين.»

وتُظهر هذه التحليلات أن حماس هي الطرف السيئ سواء أطلقت الصواريخ أو أبرمت هدنة. يقول الراشد[٢]: «**أليس هذا هو النفاق السياسي بعينه؟ ثمنه هذه المرة**

(١) الشرق الأوسط، ٢٠٠٨/٦/٢٨

(٢) الشرق الأوسط، ٢٠٠٧/١١/٢٧

غالٍ جداً، أربعمائة قتيل فلسطيني قضوا بسبب سياسة حماس التي دمرت البنية الحكومية وجوعت الناس وفتحت الباب للعدوان والاغتيالات الإسرائيلية. النتيجة اليوم هدنة لحماية إسرائيل من الصواريخ والعمليات الانتحارية». ويقول محمد المحمود[1]: **«حماس لا تختلف عن غيرها من الأصوليات الإسلامية؛ إن لم تكن أشدها إيغالا في البعد الأصولي. ولهذا فالبعد الدوغمائي، ظاهر في مجمل الأطروحة، وفي تفاصيل الحراك ولا شك أن هذا البعد يقف على الضد من المبدأ السياسي العام، والذي يقتضي بالضرورة الارتباط بشروط الواقع، والدخول إليه من زاوية الممكن، وليس من زاوية الثوابت الذاتية. وهذا ما يفسر الفشل السياسي لحماس، والذي وصل درجة الشلل التام»**.

ويقول - مذكراً بمقاله السابق-[2]: **«لقد أشرت من قبل، وبمجرد فوز حماس في الانتخابات، إلى مأزق حماس، وإلى الكارثة المنتظرة. فحماس حركة إسلاموية متطرفة. وهذه**

---

(١) الرياض ٢٠٠٦/١٠/١٢

(٢) الرياض، ٢٠٠٩/٢/١٢

حقيقة يعرفها الجميع. وقراءات أدبيات حماس، وطبيعة تكوينها وانتماءاتها، تؤكد حقيقة تطرفها الشديد. الجميع يعرف ذلك. لكن؛ لأن حماس في أرض محتلة، وتقوم بدور من أدوار المقاومة، فقد جرى التغاضي عن تطرفها من قبل كثير من مفكري العرب والمسلمين. يدلك على هذا، أن حماس لو كانت في بلد عربي أو إسلامي؛ لتم تصنيفها كإحدى حركات التطرف الإرهابي، ولتمت محاكمتها على كل جريمة عنف ترتكبها باسم الإسلام». ويقول يوسف أبا الخيل بعد فوز حماس في الانتخابات التشريعية [١]: «ففي الوقت الذي لا يستطيع فيه أي مسؤول حمساوي القول إن حماس غير مسؤولة بصفة مباشرة عن الدفع بفلذات أكباد آلاف الفلسطينيين في أتون نيران العمليات الانتحارية ابتغاء الوصول إلى هذه اللحظة التي يتوزع فيها أعضاؤها كعكة الحكم الفلسطيني، يأتي إسماعيل هنية ليعلن على الملأ أنه لن يسمح لأي من أولاده الثلاثة عشر!! باللجوء إلى الاستشهاد سعياً إلى تحقيق حلم فلسطين الكبرى على وقع شعار إلقاء إسرائيل في البحر، وهو الشعار الذي

(١) الرياض ٢١/٣/٢٠٠٦

وطد به هنية ورفاقه الخطى لأقدامهم سعياً لهذه اللحظة السعيدة التي يمتطون فيها منصة الحكم الفلسطيني على وقع آهات وحسرات آلاف الأسر التي فقدت واحداً أو أكثر من أبنائها على وقع الشعارات الإسلاموية لهنية ورفاقه».

هذه الاقتباسات المطولة تظهر عدة حقائق:

هؤلاء الكتاب كانوا قد حددوا موقفهم من حركة حماس بشكل خاص ومن فكرة المقاومة بشكل عام قبل العدوان على غزة بفترة طويلة.

هناك توافق قوي في آراء هؤلاء الكتاب، حتى يمكن أن يقال «موقفهم» بدلاً من «مواقفهم. فحماس كما تظهرها مقالات هـؤلاء الكتاب هي الطرف السيئ دائما في كل الأحداث التي مرت منذ دخولها الميدان السياسي. فهي الطرف السيئ مقابل حركة فتح والسلطة الفلسطينية، ومقابل الجهود العربية للمصالحة، بل ومقابل إسرائيل. وحماس في كل تحركاتها وقراراتها تخدم مصالح إقليمية –إيرانية سورية تحديدا– حتى لو بدت تلك التحركات

متعارضة، كإطلاق الصواريخ وإبرام الهدنة.وحماس تنطلق من رؤية أيديولوجية إسلاموية متطرفة.

ثانياً: توافق الكتاب في معالجة العدوان الإسرائيلي على غزة.

رغم أنه يبدو متوقعا أن يعتمد هؤلاء الكتاب رؤيتهم نفسها في فهم وتحليل العدوان الإسرائيلي على غزة، وأن يكون موقفهم بعد الأحداث استمرارا لموقفهم قبلها، إلا أن قسوة الأحداث وانكشاف مواقف بعض الدول والجهات، كان يمكن أن يحدث بعض التغيير في موقف بعض هؤلاء الكتاب. فهل حدث هذا؟

١- تحييد الدين:

البعد الديني هو العقبة الرئيسة التي تواجه المنهج التحليلي لمعظم هؤلاء الكتاب كما ظهر في مقالاتهم المدروسة، فهم من ناحية يحاولون استبعاد البعد الديني في معالجة القضية بدافع أيديولوجي، لكنهم يواجهون حقيقة أن الدين موجود بقوة بين مفاصل القضية، فالحركة التي تمارس المقاومة حركة إسلامية دينية، وعلماء الدين

يصدرون الفتاوى التي تؤيد المقاومة وتحرم تضييق الخناق عليها، والمؤيدون لها من عامة الناس غالبهم يقرؤون القضية قراءة دينية.

وليتغلبوا على هذا المأزق استخدم كتاب المقالات آلية قديمة جرى استخدامها منذ (عصر النهضة العربية)، وهي آلية (تحييد الدين). وهي تعتمد على عنصرين:

أحدهما ادعاء تنزيه الدين وتقديسه عن معترك الحياة السياسية وألاعيبها القذرة، وبالتالي يجب استبعاد عقائد الدين وقيمه وأحكامه عن الممارسة السياسية والتحليل السياسي.

والعنصر الآخر هو اتهام كل من يتبنى المنهج الديني في نشاطه السياسي باستغلال الدين والعاطفة الدينية لأهداف سياسية. وقد ابتكر أحدهم مصطلح «الإسلاموية» الذي يحمل بعدا تجريميا، فالإسلاموي هو شخص كذاب يستخدم الدين لأهداف دنيئة.[١]

(١) رغم أن هذه القراءة التنزيهية للدين تحوله إلى تحفة تراثية يجب المحافظة عليها داخل علبة زجاجية ليستمتع بمشاهدها السواح، إلا أن أصحابها يضطرون إلى فتح العلبة حين يشعرون أنه يمكن استخدام بعض مقولات الدين لتأييد مواقفهم. انظر مثلا: مقال تركي الحمد «ولكن ماذا عن الإنسان في غزة».

يقول فارس بن حزام: «... وما زلنا نتبرع صادقين في همنا وفي النوايا، ولوجه الله، ومن دون أن نتاجر بالدين وبالشعوب وبالقضايا.» ويقول مشاري الذايدي[1]: «إنما تغادر البراءة حين يكون الاستغلال لمأساة غزة على شكل تكريس لمكاسب سياسية ضد طرف آخر أو ترسيخ لصورة إيديولوجية معينة لفرق التصلب القومية والتسييس الدينية.» وقد عنون محمد المحمود[2] سلسلة المقالات التي كتبها حول العدوان الصهيوني على غزة بـ «حرب غزة.. الدين والسياسة والإنسان»، والفكرة الرئيسة بل الوحيدة في هذه المقالات كانت: «لا بد من تنزيه الدين عن هذا الصراع». يقول فيه: «**الآن، تدور حرب غزة بين طرفي صراع، يحاولان تديين الصراع على المستوى الشعاراتي**». ويقول: «**هنا، يختلط الجهل بسوء القصد. فالأبواق الشعاراتية ليست على مستوى واحد في الوعي بحقيقة التوظيف الشعاراتي للدين، كما أنها ليست على مستوى واحد في حظها من العائد النفعي السياسي جراء توظيف الدين**

(١) الشرق الأوسط، ٢٠٠٩/١/١٣

(٢) الرياض، ٢٠٠٩/١/١٥

في هذا الصراع». ويقول أيضاً: «**يقود تديين الصراع إلى التلاعب بالمقدس. فالمقدس يتم توظيفه كأداة من أدوات الصراع. وبهذا يتم انتهاك قدسيته؛ خاصة عندما يتم في سياق تزييف الوقائع والمواقف**». ويقول يوسف أبا الخيل عما يسميه (منطق أيديولوجية الإخوان المسلمين، الجذر الفكري لحركة حماس) [1]: «**... منطق نفعي بحت، يتوسل الدين ثمناً لاستدراج الغوغاء ليكونوا جذوة نار حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل. ومن ثم القفز، فيما بعد، على ثمرات الحروب التي يشعلونها هنا وهناك**». ويقول تركي الحمد[2]: «**... فليت السيد وليت الأخ يستوعبون درس الحسين كاملاً، ومن قبله درس الحسن، وقبلهما علي، وقبل الجميع رسول الإسلام، ﷺ، وليس استخدام الدين والوطنية والمقاومة تبريراً ايديولوجياً لما يظنون ويفعلون**».

٢- حماس تهدف إلى السلطة:

يتكرر الموقف القائل بأن هدف حماس من كل ما تمارسه

---

(١) الرياض، ٣/١/ ٢٠٠٩

(٢) الشرق الأوسط، ١١/١/٢٠٠٩

هو الحصول على سلطة سياسية، أو تحقيق مكاسب سياسية لمؤيديها في الدول العربية والإقليمية، أو هما جميعاً. فالراشد يقول[1]: «**حماس تريد معركة تحرج الدول العربية لتتحرك لصالحها، وتريد أن تفرض نفسها قوة سياسية رغما عن السلطة الفلسطينية بدعوى مواجهة العدو...**» ويقول المحمود[2]: «**دماء الأبرياء وأشلاؤهم في غزة، أصبحت أوراقا سياسية، تلعب بها الإيديولوجيات، في محاولاتها الرامية لتعزيز مواقعها، ودعم مواقفها التفاوضية... لهذا، لم يكن غريبا ولا مفاجئا أن يخرج الزعيم الملهم!: إسماعيل هنية - بينما القصف يلتهم الأبرياء، الذين لا يد لهم في هذا الصراع -؛ لينادي:... إن القتال (على السلطة، كما هو مضمر خطابه) مستمر؛ حتى ولو أبيدت غزة عن آخرها**». ويقول المحمود أيضا[3]: «**ولكن حماس وهي تتهالك على فتات السلطة تحاول فعل المستحيل...**» ويقول كذلك[4]: «**لا عتب على الرابحين من المتاجرين بأرواح الأبرياء، بل وبأجسادهم - عن طريق**

(١) الشرق الأوسط، ٢٠٠٨/١٢/٢٩
(٢) الرياض، ٢٠٠٩/١/٢٢
(٣) الرياض، ٢٠٠٩/٢/١٢
(٤) الرياض، ٢٠٠٩/١/٨

عرضها اللاإنساني - بعد رحيل الأرواح إلى بارئها، فهم لن يتوقفوا عن هذه التجارة أو الدعارة؛ ما دام الرصيد السياسي في ارتفاع».

٣- المقاومة تخدم إيران:

القاسم المشترك بين معظم المقالات التي جرى تحليلها تتبنى الرأي الذي يقول إن حركة حماس في مقاومتها للاحتلال الصهيوني تنفذ أجندة إيرانية، بل هي بندقية في يد إيران. وقد جاءت عناوين بعض المقالات صريحة في الربط بين المقاومة والأجندة الإيرانية، وهي: مقال تركي الحمد[١] «مأساة غزة: أصابع إيران الخفية..»، ومقال عبدالرحمن الراشد[٢]: «حماس: إما إيران أو العرب» ومقال طارق الحميد[٣]: «نجاد.. انظروا من يتحدث! وقد وردت كلمة (إيران) في المقالات المدروسة (٩٠) مرة باشتقاقات مختلفة.

(١) الشرق الأوسط،٢٠٠٨/١٢/٣١
(٢) الشرق الأوسط،٢٠٠٩/١/١٩
(٣) الشرق الأوسط،٢٠٠٩/١/١٦

تركي الحمد (يرى أن حماس مجرد دمية في يد إيران[١]: «**فما حزب الله أو حماس إلا لعب «أراجوز»، تحركهم إيران من وراء الستار، وقتما تشاء، وكيفما تشاء**»، ويرى أن إيران هي التي تحرك المقاومة من أجل تحقيق أهداف إيرانية بحتة، فيقول: «**وما يجري في غزة اليوم، هو فعل إيراني غير مباشر، الغرض منه إشعال المنطقة بين الفينة والأخرى، لإعطاء إيران وقتاً إضافياً من أجل تحقيق أهدافها البعيدة، فمن خلال الفوضى وخلق النزاعات تستطيع إيران أن تعمل بهدوء لتنفيذ إستراتيجيتها الكبرى**».

ويرى الذايدي[٢] أن «إيران تحارب بدماء الفلسطينيين واللبنانيين.» ويفسر رفض مصر الاعتراف بسلطة الأمر الواقع لحماس في غزة، «لأنها تعتبر حماس امتدادا لإيران وعمقا للإخوان لديها.»[٣]. ويقول حماد السالمي[٤]: «**لقد بدت حركة حماس منذ عامين، وهي تستقل بحكم قطاع**

(١) الشرق الأوسط، ٢٠٠٨/١٢/٣١
(٢) الشرق الأوسط، ٣٠/ ١٢/ ٢٠٠٨
(٣) الشرق الأوسط، ٢٠٠٨/١٢/٣٠
(٤) الجزيرة، ٢٠٠٩/١/١١

غزة، وتمهد لإمارة حمساوية على غرار إمارة طالبان البائدة، وكأنها مخلب قط للسياسة الإيرانية...»، ويقول عبدالرحمن الراشد[1] «**يبقى على الحركة (حماس) أن تختار بين العودة إلى العائلة العربية أو أن تبقى بندقية في اليد الإيرانية.**»، ويقول يوسف أبا الخيل [2]: «**مما يجب ألا يُشك فيه أن المنظمات المتطرفة المرتبطة، مذهبياً وسياسياً، بإيران كـ «حزب الله»، أو بحزب الإخوان المسلمين كحماس والجهاد وغيرهما من فروع إخوانية أخرى في بقية الدول العربية، ليست، على الأقل في الوقت الحاضر، إلا أدوات يستخدمها راعي شعار: تصدير الثورة، لتنفيذ استراتيجياته السياسية، والقائمة على مبدأ تكسير أطر الاستقرار السياسي والاجتماعي لدول المنطقة ليخلو له الجو في تنفيذ الهلال الشيعي**». ويقول في المقال نفسه عن المقاومة: إنها «**مغامرات محسوبة على أجندة الحرس الثوري الإيراني**»!.

وحين تأتي الإشارة إلى سوريا في بعض المقالات

(١) الشرق الأوسط، ٢٠٠٩/١/١٩

(٢) الرياض، ٢٠٠٩/١/٣

فباعتبارها امتداداً لإيران، يقول الراشد[1]: «**فهناك حماس رهينة دمشق وطهران حيث يعيش قادتها في الفنادق**»، ويقول الحميد: «**مشعل، القابع في دمشق... وكان لافتا أن مشعل، القابع في دمشق ولا يسمع حتى أزيز الطائرات الإسرائيلية... مشعل المقيم في دمشق**».

ويقول محمد آل الشيخ[2]: «**... معنى ذلك أن حماس، التي لا تخفي تحالفها مع آيات الله في إيران، تعمل - بوعي أو دونما وعي- على تقوية موقف المفاوض الإيراني في عهد أوباما. و(حرب غزة) التي دفعت إيران حماس إليها، عندما ضغطت في اتجاه عدم تجديد (التهدئة) مع الإسرائيليين، كانت إحدى الأوراق الهامة التي سوف يستثمرها الإيرانيون إلى أقصى حد ممكن على طاولة المفاوضات مع الأمريكيين. أي أن حماس، وحرب غزة، وأشلاء القتلى والدمار التي أدمت قلوب الكثيرين، ستصبح في القريب العاجل مجرد (ورقة) تفاوضية من ضمن أوراق في صفقة (المقايضات) الأمريكية الإيرانية**

(١) الشرق الأوسط، ١٩/١/ ٢٠٠٩
(٢) الجزيرة، ١٨/١/ ٢٠٠٩

القادمة، والتي يعمل الإيرانيون، بكل ما أوتوا من جهد للاستعداد لها من الآن». ويسعى هؤلاء الكتاب من خلال هذا الاتهام إلى تحقيق هدفين:

الأول: إيجاد مبرر سياسي لعدم دعم معظم الدول العربية للمقاومة، فالمقالات تقول ليس هناك مقاومة للاحتلال الإسرائيلي بل أعمال طائشة تجري لصالح أجندة إيرانية معادية للعرب.

الثاني: السعي لوأد أو إضعاف تعاطف القارئ المسلم السني مع المقاومة، إذ كيف يتعاطف مع حركة تتلقى الدعم والسلاح من إيران وتعمل على تحقيق أهداف إيرانية شيعية.

٤- المقاومة تخدم إسرائيل:

يرى هؤلاء الكتاب أن المقاومة تخدم إسرائيل، فطارق الحميد يقول[١]: «**إن ما تفعله حماس في غزة، وإفشال جهود التهدئة التي قام بها المصريون ما هو إلا تصويت لنتنياهو في الانتخابات الإسرائيلية. فالمتطرف دائما ما يبحث عن متطرف يبرر وجوده**»؛ وهذا ما يراه حماد

(١) الشرق الأوسط، ٢٩/ ١٢/ ٢٠٠٨

السالمي حين يقول [1]: «**إن إسرائيل تخشى السلام أكثر من الحرب، فهي تحتاج إلى جبهة فلسطينية مثل حماس لتحقيق هذا الغرض**»، ويقول أيضاً في المقال نفسه: «**نجحت حماس بعد انقلابها على الشرعية الفلسطينية، في تحويل الصراع بين الفلسطينيين وإسرائيل على أجزاء من أرض فلسطين، إلى صراع بينها وبين إسرائيل على جزء من أرض فلسطين فقط، وسوف ينجح الصحويون والمتأسلمون وحزب الله وأتباع إيران في المنطقة، إلى تصفية القضية الفلسطينية بالكامل، وإنهاء الصراع بين المقاومة وإسرائيل، بإنهاء المقاومة الفلسطينية في الضفة والقطاع**».

٥- التباكي على سكان غزة وتجريم حماس:

ظهر ما يمكن أن يسمى (ذريعة) التباكي على المدنيين واتهام حركة حماس بالتضحية بهم في معظم المقالات المدروسة. وهناك مبرران لاستخدام مصطلح «التباكي» بدل «البكاء» هنا، أولهما أن معظم هؤلاء الكتاب لا يؤمنون بالعواطف والانفعالات الإنسانية ويرون أنه لا مكان لها في

(١) الجزيرة١١/١/ ٢٠٠٩

الصراعات السياسية، ولأن البكاء على الضحايا شكل من أشكال العواطف فهم لا يقحمونه في تحليلاتهم السياسية، ولذلك فهم مضطرون إلى التباكي. والمبرر الآخر أن هذا التباكي يأتي فقط في إطار حشد التهم ضد حماس، وليس في تأليب العرب وتأنيب العالم ضد من يفتك فعلا بسكان غزة.

يقول الحميد [1]: «**الهم الأكبر اليوم هو إنقاذ غزة من براثن العدوان الإسرائيلي الوحشي الذي قارب عدد ضحاياه من القتلى قرابة الألف، لكن يبدو أن هذا الأمر ليس هاجس قيادات حماس دمشق على الإطلاق حيث بات واضحا أن عدد القتلى في غزة ومعاناة سكان القطاع هما السلاح الأمضى لحماس دمشق**». ويقول السالمي [2]: «**إن المزيد من القتل والتدمير في غزة، الذي تمارسه إسرائيل، مقابل تعنت وإصرار قادة حماس على الانتحار - انتحار الشعب طبعاً وليس انتحار القادة**».

والتباكي على السكان يأخذ اتجاهاً واحداً هو اتهام حماس بالتضحية بهم، أما إسرائيل فالدفاع عنها يأخذ

(١) الشرق الأوسط، ٢٠٠٩/١/١٤

(٢) الجزيرة، ٢٠٠٩/١/١١

شكل الهجوم لأنها مادامت هي العدو فليس غريبا ولا جديدا أن تستهدف المدنيين أو تبيدهم ولهذا يكون الحديث عن جرائمها لا جدوى منه، يقول الحميد(١): «**جرائم إسرائيل الواضحة يجب أن لا تنسينا ما فعلته حماس في أهل غزة، والقضية الفلسطينية ككل، وإلا بتنا شهود زور في حفلة تلميع المواقف الدموية**». ويقول تركي الحمد(٢): «**إذا كانت إسرائيل قد أجرمت بحق الفلسطينيين، فإن حماس شريكتها في الجريمة، بل وتتحمل الوزر الأكبر، وهي التي تعرف حجم ردة الفعل الإسرائيلية**».

٦- تبني مواقف طرف واحد في كل الحالات:

كل المقالات المدروسة التي تناولت المواقف المختلفة لأطراف الصراع الفلسطيني كانت تتبنى مواقف الأطراف الأخرى المناوئة لحركة حماس أو المختلفة مع خياراتها، وتتعامل مع تصريحاتهم وادعاءاتهم على أنها لا تقبل الشك. في حين تجنح إلى تكذيب أو التشكيك في تصريحات قادة حماس.

(١) الشرق الأوسط، ١٢/٢٨ /٢٠٠٨

(٢) الشرق الأوسط، ١٢/٣١ /٢٠٠٨

فقد تبنت كل المقالات تقريبا موقف عباس من الخلافات الفلسطينية، فسمت النزاع الذي حدث في غزة وانتهى بهروب قوات عباس انقلابا على السلطة، وهو التعبير الذي تستخدمه حركة فتح، فالسالمي يقول[١]: «**ونجحت حماس بعد انقلابها على الشرعية الفلسطينية**»، والمحمود يقول[٢]: «**ما وقع من انقلاب على يد حماس**» **وكذلك الحميد يرى أن** «**إيران وأعوانها هم من دفعوا حماس لنقض الاتفاق والانقلاب في غزة.**»[٣]

٧- حماس استفزت إسرائيل ومن ثم تبرير فعل إسرائيل:

ظهرت في بعض المقالات محاولة لتبرير العدوان الصهيوني بحجة أن إسرائيل تتعرض للاستفزاز، وفي هذا السياق يقول تركي الحمد[٤]: «**فإسرائيل تتعرض للاستفزاز المتكرر من قبل حماس، حين ترشقها بالصواريخ بشكل شبه يومي**». ويقول يوسف أبا الخيل[٥]: «**إذا كانت إسرائيل قد اجتاحت**

(١) الجزيرة، ٢٠٠٩/١/١١
(٢) الرياض، ٢٠٠٩/ ٢/١٢
(٣) الشرق الأوسط، ٢٠٠٩/ ١/١٦
(٤) الشرق الأوسط، ٢٠٠٨/ ١٢/٣١
(٥) الرياض، ٢٠٠٩/ ١/٣

غزة بكل ما تملكه من آلية تدميرية متقدمة، فإن هناك، من الداخل الفلسطيني من استدرجها إلى ذلك».

٨- السخرية:

طغى الأسلوب الساخر واستخدام ألفاظ السخرية على معظم المقالات المدروسة. وكان السخرية منصبة على المقاومة نفسها وعلى زعمائها وعلى المنهج الإسلامي الجهادي الذي تتبناه وعلى الرأي العام العربي والإسلامي الذي تعاطف مع المقاومة.

فطارق الحميد يطلق على صواريخ المقاومة: «صواريخ التنك»[١]، وتركي الحمد يرى أنها «بضع ألعاب نارية حماسية»[٢]، والحميد يسمي حملة تأييد المقاومة: «حملة المدفعية الكلامية» [٣]، و: «خرج التجار من خلال مايكروفوناتهم؛ أبرزهم تجار غـزة.»[٤] وعبدالرحمن الراشد سماها «معركة الفيل والنملة»، وحماد السالمي

(١) الشرق الأوسط ١٢/٢٨ /٢٠٠٨

(٢) الشرق الأوسط، ١٢/٣١ /٢٠٠٨

(٣) الشرق الأوسط،٢٠٠٩/١/١٦

(٤) الشرق الأوسط،٢٠٠٩/١/١٦

يطلق على مؤيدي المقاومة: «الصحويين والخونجية، الكلامجية»[١]، ومحمد المحمود يردد كثيرا تعبير «الصخب الشعاراتي، والإسلاموية...»[٢]، والذايدي يرى أن تأييد المقاومة «هيجان الشوارع»[٣]

(١) الجزيرة،١١/١/ ٢٠٠٩

(٢) الرياض،١٥/١/ ٢٠٠٩

(٣) الشرق الأوسط، ٣٠/١٢/ ٢٠٠٨

المبحث الثاني
التناقض الذاتي لدى الكتاب

أظهرت المقالات المدروسة تناقضاً ذاتياً لدى عدد من الكتاب، أي أن مقالات الكاتب الواحد حملت أفكاراً وتحليلات متناقضة. وقد ظهر تناقض الأفكار بشكل واضح في مقال تركي الحمد «ولكن ماذا عن الإنسان في غزة؟» [(١)]، فهو يدعو إلى المحافظة على كرامة[(٢)] الإنسان وحريته، ليس عن طريق (المقاومة) بل عن طريق (الاستسلام) فيقول: «أليست المقاومة هي من أجل الإنسان في فلسطين؟ من أجل حريته وعزته وكرامته وحقه في العيش الكريم؟ إن لم

(١) الشرق الأوسط، ٢٠٠٩/١/١١

(٢) الكرامة بمفهوم تركي الحمد- وفق هذا المقال- هي أن يعيش الإنسان ليأكل ويشرب ويتمتع ولو كان مهزوماً ذليلاً.

تكن مقاومة من أجل هذه الأهداف، فهي في النهاية لا تعدو أن تكون عبثاً أو ضرباً في خواء.» ويقول: « فالحياة والروح هي أثمن ما استودعه الخالق جسد الإنسان، وهي التي يجب أن يُنافح عن حقها في الحياة، وحقها في الكرامة، وحقها في الحرية.» ثم يقول: «فلم لا تستقيل حماس وتحقن الدماء؟ هل يعني ذلك الاستسلام؟ ليكن، ولكن ألا يستحق الإنسان الفلسطيني البسيط ذلك؟ هل يعني ذلك قبول الهزيمة؟ ليكن، فهل هناك أغلى من الإنسان».

ومن العناصر التي يشترك فيها هؤلاء الكتاب رفض نظرية المؤامرة والسخرية ممن يحلل الأحداث والقضايا السياسية على أسس مؤامرتية، لكن مقالاتهم تظهر أنهم يستخدمون الأسس نفسها، وإن لم تستخدم كلمة (مؤامرة) بنصها. فقد أكدت معظم المقالات أن هناك تنسيقا، أو أن ما يحدث كان معدا له سلفا بين جهات عدة، فطارق الحميد يقول بعد سرد عدد من الأحداث: «... وخيوط التنسيق واضحة»[١]. ويقول مشاري الذايدي[٢]: «يبدو أن

(١) الشرق الأوسط، ٢٠٠٨/١٢/٢٨

(٢) الشرق الأوسط، ٢٠٠٨/١٢/٣٠

الهجوم الحالي على مصر يعد منذ فترة ليست بالقليلة، ففي منتصف هذا العام ٢٠٠٨، اندلعت أزمة سياسية بين مصر وإيـران على خلفية فيلم دعائي ضد مصر بعنوان «إعدام الفرعون» عن الرئيس الراحل أنور السادات، لكن تم تطويق الأمر حينها، ثم سعت حماس وبتشجيع سوري إيراني إلى إفشال مساعي الحوار الفلسطيني مع فتح برعاية مصر. وسجل ذلك الوزير أبـو الغيط على من سماهم أدوات فلسطينية بيد إيـران. وفجأة انطلقت مجموعة من المظاهرات المرتبة ضد سفارات مصر في طهران ودمشق وبيروت، لوضع مصر تحت الحصار الإعلامي والابتزاز العاطفي».

ويرى تركي الحمد[1] أن «**أحداث غزة الأخيرة، وقبلها أحداث لبنان عام ٢٠٠٦ لم تكن نتيجة فعل مقاومة وطنية من حزب الله أو حماس، بقدر ما كانت وسائل لإشغال إسرائيل، القوة الإقليمية الوحيدة المنافسة لإيران في المنطقة، كي تتفرغ إيران لبرنامجها النووي، وخططها الأخرى للهيمنة في المنطقة**».

(١) الشرق الأوسط، ٣١/١٢/ ٢٠٠٨

أما حماد السالمي[١] فيرى أن حركة حماس تحقق أجندات ثلاث متعارضة، فحماس في رأيه: «... **منذ عامين، وهي تستقل بحكم قطاع غزة، وتمهد لإمارة حمساوية على غرار إمارة طالبان البائدة، وكأنها مخلب قط للسياسة الإيرانية، وحالة تعويضية لفشل ابن لادن والقاعدة، وراحت بذلك، تتصرف باتجاه تحقيق نزعة إسرائيلية نحو ديمومة الاقتتال وتهجير المواطن الفلسطيني**».

وطارق الحميد[٢] يعطي تفسيرين متناقضين للمقاومة في مقال واحد، فهي مرة «**استهداف من قبل حماس وإيران للمفاوضات المتوقعة بين سوريا وإسرائيل**». وهي مرة «**من أجل تعزيز الموقف السوري**»، بينما يتهم حماد السالمي[٣] مؤيدي حماس بأنهم يتسببون في شق الصف الفلسطيني، حين يؤيدون فريقا على آخر: «**فلم يعد مفهوماً كيف يكيل أنصار حماس بمكيالين..؟ كيف ينصرون فريقاً على فريق، وهم يعرفون أنهم يشطرون الشعب**

(١) الجزيرة، ١١/ ١/ ٢٠٠٩
(٢) الشرق الأوسط، ٢٨/ ١٢/ ٢٠٠٨
(٣) الجزيرة، ١١/١/٢٠٠٩

الفلسطيني، ويشقون صف الإخوة في غزة والقطاع.؟» في حين أن السالمي في المقال نفسه يتبنى موقف الفريق الآخر.

ويرى السالمي[1] أن رفض حماس لمبادرة السلام العربية يعد توافقاً مع الكيان الصهيوني، إذ يقول: «**كيف التقت حركة حماس مع الكيان الصهيوني في رفض مبادرة السلام العربية،**». والسؤال هو: لو قبل هذا الكيان بالمبادرة العربية فهل سيتهم السالمي الدول العربية بالتوافق مع الكيان الصهيوني.

ومن أشد مظاهر التناقض في المقالات المدروسة موقفها من الأكثرية الشعبية المؤيدة للمقاومة، فقد واجه الكتاب حقيقة أن الرأي العام العربي والإسلامي يؤيد المقاومة ويدعمها، والموقف السليم يفرض احترام الرأي العام أياً كان اتجاهه، لأن ذلك من أهم مبادئ الديمقراطية والإيمان بالمجتمع المدني وحقه في التعبير عن مواقفه. لكن هذا الموقف الشعبي يتصادم مع الموقف الخاص الذي تبناه بعض كتاب المقالات موضوع الدراسة.

(١) الجزيرة ٢٠٠٩/١/١١

لقد حاول الكتاب تجاوز هذا المأزق باللجوء إلى الآلية التي يستخدمها عادة أصحاب الاتجاه «الليبرالي حين يواجهون مثل هذا المأزق -وهم كثيرا ما يواجهونه- فقد استخدموا آلية (التسفيهه)، فأطلقوا على الأكثرية مصطلح «الغوغاء» و«الشوارعية». فيوسف أبا الخيل[١] يقول: «**يتوسل الدين ثمناً لاستدراج الغوغاء**»، وعبدالرحمن الراشد [٢] يرى أن «الوزير أبو الغيط يواجه لوحده غوغاء العرب»، ومحمد المحمود يقول[٣]: «**وكانت (أي حماس) ترى في التفجيرات الإرهابية طريقا إلى عقل جماهيري مأزوم ومتخم بشعارات القوة الكاذبة، ووقائع النضال التاريخي!، وقد حقق لها هذا العبث المراهق نوعاً من الشرعية، ولكنها كانت شرعية (شوارعية)**». وتركي الحمد يقول[٤]: «... **وجماهير أسرتها الشعارات، وخدرتها الكلمات، وضللها مثقفوها، فما عادت تدري من السبب ومن المسبب.**»

(١) الرياض، ٢٠٠٩/١/٣
(٢) الشرق الأوسط، ٢٠٠٩/١/١٩
(٣) الرياض، ٢٠٠٩/٢/١٢
(٤) الشرق الأوسط، ٢٠٠٩/ ١/١١

ويقول محمد بن عبداللطيف آل الشيخ[1] عن الإنسان في غزة: «... **جعل منه (الحماسيون) ومن أطفاله (درعاً) بشرياً، ومن دمار مدينته وبنيتها التحتية مادة إعلامية تستقطب بها الشعوب (السذج) لمناصرتها**».

وقد ظهر القدر الأكبر من التناقض في مقالات محمد المحمود، أولا بسبب حجمها الكبير، ثم بسبب مبالغته الشديدة في محاولة تأكيد مقولاته.[2] ففي إجابة لسؤال:

هل الإسلاميون المناصرون للمقاومة متفقون تماما في اتجاهاتهم ومواقفهم من حركة حماس؟ فإن إجابة هذا السؤال عند المحمود بدت متناقضة. فهو يقول: «لا يخفى أن أطياف الإسلاموية لم تكن - في يوم من الأيام - متحدة في موقفها من حماس؛ حتى وإن اتحدت في الموقف العام؛ إزاء الحرب في غزة. بل إن هذا التديين قاد إلى ظهور نفس عقائدي، حتى داخل المؤيدين لحماس. فبدأت تسمع مقولات لبعض المؤيدين يقولون فيها: **نحن نؤيد حماس**

(١) الجزيرة، ٢٠٠٩/١/٨

(٢) متوسط حجم مقاله (١٥٠٠) كلمة.

رغم الأخطاء، أو رغم التحفظات، أو رغم البدع.. إلخ. وهذا يدل على مفاصلات عقائدية متشظية، تدعي الصفاء والنقاء العقدي لفصيل واحد، بل ولتيار واحد داخل هذا الفصيل.

ثم يقول في المقال نفسه: «**العمل على تديين الصراع، لا بد أن يؤدي إلى أن يجد الإنسان نفسه في سياق ثنائية دغمائية: إما (مع)، أو (ضد). وعندما تكون مع، ففي سياق عملية التديين، لا بد أن تكون (مع) بالكامل، بل، وبالتنازل عن كل تفاصيل الرؤية الخاصة (= الفردية) التي تعاين بها المسألة الصراعية ككل. ولا بد - حينئذٍ - أن تكون (ضد). وهذا يقتضي أن تتنازل عن رؤية الواقع؛ كما هو، وعن تفسير سلوكيات الآخر؛ كما هو، أي بوصفه - رغم كل شيء - إنسانا غير كامل، وليس شيطانا كاملا. في هذه الجزئية، ولكي تتحقق متتاليات التديين، يجب أن تكون مع الضحايا. وهذا طبيعي وإنساني. لكن، أن تكون - في هذا السياق الذي يدين المسألة - مع الضحايا، لا يعني أن تتوقف هنا، أي لا يكفي أن تكون إنسانياً فحسب، بل لا بد - كشرط سياقي للتديين - أن**

تكون مع الغوغائية الشعاراتية. وهذا - أيضا - لا يكفي. فلكي تكون مع هذا الصخب الشعاراتي، فلا بد أن تكون مع حماس؛ لأنها صاحبة الشعار الأشد صخباً. وهذا - أيضا - لا يكفي. فلكي تكون مع حماس، فلا خيار لك إلا أن تكون مع حماس في كل خياراتها وفي كل شعاراتها، بل ومعها في إرادتها المسلوبة لحساب إيران».

هل تديين الصراع حالة طارئة تحاول حماس فرضها، أم أنها فكرة متجذرة في الخطاب الديني التقليدي؟ هنا أيضا يقدم المحمود[1] إجابتين متعارضيتن، فهو يقول: «**لا بد - إذا ما أردنا الوصول إلى مستوى مقبول من الحلول - من نزع فتيل عملية تديين الصراع، تلك العملية التي تحاول حماس وأشياعها فرضها على واقعنا المدني**»، ثم يقول في المقال نفسه: «**تديين الصراع يعني أن السلام مستحيل، لا لمجرد تعميم الصراع فحسب، وإنما لكون العملية السلمية ذاتها، غير متسقة مع حقيقة الخطاب الديني التقليدي السائد في العالم الإسلامي اليوم. ففي هذا الخطاب لا يجوز السلام الدائم؛ لأنه يعني إسقاط حكم**

(١) الرياض، ٥/٢/ ٢٠٠٩

الجهاد» كذلك يتناقض المحمود مع الواقع إذ ينفي استهداف إسرائيل للمساجد والمدارس والمستشفيات، ويرى أن ذلك تزييف وتضليل يروجه الشعاراتيون الصاخبون، متناقضاً بذلك مع ما رصدته كل وسائل الإعلام بل مع ما اعترفت به إسرائيل حين ادعت أن تلك الأماكن تستخدم من قبل مقاتلي حماس ومطلقي الصورايخ. يقول المحمود[1]: «**وفي هذه الحرب الأخيرة على غزة، لا تستطيع إسرائيل قصف المساجد ولا المستشفيات ولا مناطق الكثافة السكانية؛ لا لأن لديها رادعا ذاتيا يمنعها، وإنما لأنها لا تستطيع فعل ذلك؛ وإلا ستخسر منطق الصراع أمام العالم الذي يتابع تفاصيل الحدث لحظة بلحظة. ومن هنا، فإحجامها عن مثل هذا الاستهداف الذي يدعيه الشعاراتيون الصاخبون، إحجام براجماتي، لا غير. فتأكيدنا على هذا، لا يعني أننا نمتدح السلوك الإسرائيلي، أو نمنحه مسحة أخلاقية، وإنما يعني أن هذا هو الواقع الموضوعي، ويجب أن نراه كما هو دون تزييف أو تضليل**».

والخلاصة هي: أن محاولة البحث عن تفسير لهذا

(١) الرياض، ١/٨/ ٢٠٠٩

التناقض في تحليلات هؤلاء الكتاب يمكن أن يعود إلى ثلاثة أسباب يمكن إجمالها في الآتي:

١-التلقائية، أي أن فكر الكاتب يعاني من قصر النظر فهو حين ينتهي من كتابة فكرة ما أو مقال ينساه تماما ويبدأ الحديث عن فكرة جديدة بتفكير جديد.

٢-الهوس بحشد الأدلة والبراهين، فلكي يؤكد الموقف الذي يتبناه يسعى إلى وضع أكبر عدد من الأفكار التي يرى أنها تؤكد موقفه، وفي خضم هذا الحشد يغفل عن ملاحظة التناقض بين بعض أفكاره. وهذا الخلل يبدو بشكل أكبر في مقالات المحمود.

٣-القضية في نظر هؤلاء ليست من أصاب هنا ومن أخطأ هناك، بل هي قضية اتجاه فكري وسياسي يجب الدفاع عنه وتبرير أصحابه. وهذا خلل يعاني منه كثير ممن يبالغ في تبني اتجاهات دينية أو فكرية أو سياسية، حيث يتحول الكلام في المقال من مناقشة الوقائع إلى الدفاع عن الاتجاهات والمذاهب، وهذا

يوقع في التناقض، إذ نادرا ما تكون كل الوقائع في صراع ما لخدم اتجاها واحدا، ومع ذلك يصر هؤلاء الكتاب على تفسير كل الأحداث لصالح الاتجاه الذي يتبنونه.

الخاتمة

لم تكن الحرب الصهيونية على غزة حدثاً عابراً في حياة المسلمين المعاصرة، بل كانت تحولاً جذرياً في حقيقة الصراع بين المسلمين واليهود في فلسطين المحتلة.

نفذت الآلة العسكرية الإسرائيلية استراتيجيتها العسكرية بدعم مادي ولوجستي من الحكومات الغربية، وبخاصة الولايات المتحدة الأمريكية، وساندتها في المنظمات والمحافل الدولية، بينما وقفت الشعوب الإسلامية مناصرة ومؤيدة للمسلمين في غزة، فكانت مواجهة بين إسرائيل ومن ورائها الغرب من جهة، وفصائل المقاومة الفلسطينية بإسناد شعبي من الدول الإسلامية من جهة أخرى.

وفي فصول هذه المواجهة انبرى مجموعة من الكتاب

السعوديين للحديث عن تداعيات الحرب في أبعادها السياسية والعسكرية والإنسانية عبر مقالات صحفية أقل ما يقال عنها أنها مُخذِّلة للمقاومة، ومصادمة للشعور الإسلامي العام الذي وقف ضد هذه الحرب الظالمة وغير المتكافئة.

وعلى الرغم من وجود بعض الأخطاء السياسية التي وقعت فيها المقاومة، وبخاصة حركة حماس، إلا أن ذلك لا يمكن بحال من الأحوال أن يكون باعثاً لهؤلاء الكتاب أن يتخذوا موقفاً مصادماً لحقيقة هذه الحرب التي اتفق الجميع - حكومات وشعوباً - في العالم الإسلامي على وجوب نصرتها، ولو من باب (الإنسانية) إن لم تكن من واجب (الأخوة الإيمانية).

هذه الدراسة كشفت عن اتجاهات هذه العينة من الكتاب من خلال جوانب متعددة ناقشتها فصول الدراسة كما تقدم، وقد سعت إلى رصد هذه الاتجاهات وتحليلها لتبقى شاهداً تاريخياً للأجيال تحكي واقعاً مُرّاً لعينة من كُتّابنا الذين يُفترض أن يقودوا برأيهم وكتاباتهم الوعي العام للأمة بما يخدم ديننا وقضايانا الكبرى، وفي طليعتها قضية فلسطين.